المشرق

رجل الخير المرحوم بشاره الخوري

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

قال بعض مشاهير الكتبة: « قد اتَّسمت النصرانيَّة في كل عصر بسمة خاصَّة اتالتها من العزّ بردًا قشيبًا رفع قدرها في اعين الشعوب. وسمتُها المميّزة لها في القرن التاسع عشر أنّها كانت محبَّة القريب لاسيما ذوي البأساء منهُ مع بذل الذات في سبيل المشروعات الخيريَّة ». قال هذا وايَّد قولهُ بشواهد عديدة قصرها على اسماء كبار المحسنين في اوربَّة واميركة ممن شرَّفوا زمانهم وبلادهم بسخاء ذات يدهم

(قلنا) ان ما قرَّرهُ هذا الكاتب عن اهل الخير في الاصقاع الاجنبيَّة لم يحرمنا الله منظرهُ في اقطارنا الشرقيَّة. فانَّ اصحاب الفضل والكرم توفَّر بيننا عدادهم فصاروا جمًّا غفيرًا بعد ان كانوا رهطًا قليلين لا يتجاوزون عدد الانامل. على انَّهُ قد امتاز بين هؤلاء المحسنين رجلٌ طالما أُشير اليه بالبنان. ولم يختلف الى يومنا في سبقهِ اثنان. نشير الى فقيد الدين والدنيا ومثال الخير والتقوى المرحوم بشاره الخوري الذي صدق فيهِ قول الشاعر:

لولا عجائبُ صُنع الله ما نبتتْ　　تلك الفضائل في لحمٍ ولا عصبِ

وها قد مرَّ نحو سنتين مذ استأثرت بشخصهِ الكريم رحمة الله ولا يزال ذكرهُ مرسومًا على صفحات القلوب تترطَّب ألسنةُ الجميع بالثناء على مكارمهِ

ما عاش من عاش مذمومًا خصائلهُ　　ولم يمت من يكن بالخير مذكورًا

بيد انَّنا سرَّحنا الطرف في الجرائد التي اتت بذكرهِ عند وفاتهِ فلم نجد فيها ما وفَّاهُ حقَّهُ من الثناء. فاحببنا ان نثبت في مجلَّتنا ما امكن جمعهُ من اخبارهِ ليجد

قرّاؤنا في هذا النبذة الموجزة تذكاراً لاعماله الخطيرة ومثالاً يأتسون بهِ فيكتسبون سعادة الدارين كما قيل:

من يَصنع الخير لا يعدم جوازهُ لا يذهبُ العرفُ بين الله والنّاسِ

١

ترجمة الفقيد

وُلد المرحوم بشاره الخوري سنة ١٨٣٨ في مدينة صور (لا في عكّا كما زعم الهلال ٦:٦٢٦) من ابوين اشتهرا بالفضل والتقى من طائفة الروم الكاثوليك الملكيين. واسم امّهِ صوفيا ابنة نيقولا منسا. امّا ابوهُ فكان يدعى ابراهيم مولدهُ عكّا من ابٍ كاهن اسمهُ انطون عُرف بتقواهُ وغيرتهِ في خدمة النفوس وأُقيم راعياً على كنيسة عكّا في أيام احمد باشا الجزّار اذ لم يكن وقتئذٍ فيها للروم الكاثوليك اسقف يهتمّ بشؤونها الروحيّة. وكان الخوري انطون رخيم الصوت حسن الغناء فنما خبرهُ الى الجزّار فاحبَّ ان يسمع صوتهُ فما أصغى اليهِ حتى أُعجب بهِ وجعلهُ من اصحابهِ. ونال الخوري الغيور بهذه الوسيلة نعماً جزيلة إفاد بها ابناء طائفتهِ. ولمّا قدم نابوليون بونابرت الى محاصرة عكّا سنة ١٧٩٩ كان الخوري انطون ممّن اجتمعوا بهذا القائد العظيم فاكرمهُ نابوليون وتحفّى بهِ. ونشأ ابنهُ ابراهيم على صفات والدهِ ولا غرو فانّ

الابنَ ينشا على ما كان والدهُ انَّ العروقَ عليها ينبت الشجرُ

وممّا امتاز بهِ ابراهيم رسوخهُ في الدين فكانت عيشتهُ اشبه بعيشة النسّاك وقد بلغ بهِ تعبُّدهُ الى ان كان يتلو كلَّ يوم فروض الرهبان القانونيَّة في اوقاتها المعيَّنة ويقضي نصف ساعة في التأمُّلات الروحيَّة ويثابر على الاسرار الطاهرة. ولمّا بارك الله اقترانهُ بصوفيا السابق ذكرها رُزق عدَّة اولاد سعى في تربيتهم في خشية الله وارشادهم الى طريق الصلاح. ومن عاداتهِ الحميدة انهُ كان يجمعهم صباح مساء لتلاوة الصلاة مع لفيف العائلة وكان يترجَّه معهم كلَّ يوم الى الكنيسة لحضور الذبيحة المقدَّسة

وكان ابراهيم انتقل من عكّا بعد وفاة والدهِ لكثرة ما وقع في هذه المدينة من الفتن والحروب فتوطّن صور وفيها اولد ابنهُ بشاره كما مرّ. وفي سنة ١٨٤٣ خرج ابوهُ من صور وقدم صيداء مع عائلة عديلهِ المرحوم ايوب العكّاويّ والد حضرة الاب الفاضل الغيور انطون عكّاوي العازاري. لكنّهم لم يجدوا في هذه المدينة ما بنوا عليهِ آمالهم

واضطروا الى ان يبارحوها فيسافروا الى القطر المصريّ سنة ١٨٤٥ فاقاموا اولًا في دمياط خمس سنوات ثم شخص إبراهيم الى الاسكندريّة وسكنها مع اولاده الى وفاته سنة ١٨٥٢. وكان موتهُ فجأةً الّا انهُ كان مستعدًّا منذ أمدٍ مديد للاقاة ربّهِ بعيشته الصالحة وسيرتهِ التقويّة. ولمَّا كان بشاره مطبوعًا على الحب الصادق البنوي نحو والدهِ اصابهُ من جرّاء وفاتهِ ألم شديد لاسيما اذ رأى ان اعباء ادارة البيت مع الاهتمام بشؤون اخوتهِ الصغار قد عادت اليهِ وهو وقتئذٍ في ريعة الشباب لم يبلغ من السنّ فوق الاربع عشرة سنة. لكنّهُ القى بمقاليد امرهِ على الربّ الذي لا يهمل من اتّقاهُ ووضع عليهِ اتكالهُ

وكان بشاره ذا فهم متوقّد وذكاء غريزيّ تلوح على وجههِ ملامح النجابة فأدّى بهِ ذلك الى ان اتقن بوقت قليل مبادئ اللغة العربيّة. ولمَّا دخل ابوهُ الاسكندريّة سلّمهُ لحضرات الاباء العازاريين ثم لاخوة المدارس المسيحيّة ليتخرَّج عندهم بآداب اللغة الفرنسيّة. وقد شهد لهُ استاذهُ العازاريّ الاخ كلاري بانهُ كان قدوة لكلّ اقرانهِ بتقواهُ وسلوكهِ الحسن واجتهادهِ في تحصيل العلوم. ثمَّ تفرَّغ في بيت ابيهِ لبعض دروس خصوصيَّة على استاذٍ احضرهُ لهُ والدهُ. ومَّا حصل عليهِ بالممارسة دون معلّم يرشدهُ مبادئُ اللغتين الانكليزيّة والايطاليّة حفظ منهما ما كفاهُ لمزاولة اشغالهِ واستعان بهما في اسفارهِ الى انكلترة وايطاليّة

ثمَّ مات والدهُ كما سبق فاضطرَّ بشاره الى معاناة الامور التجاريّة. ودخل في اوّل الامر بصفة كاتب في مصرف (بنك) الكونت ميخانيل دي دبّانة احد تجّار الاسكندريّة المعتبرين. ثم خدم في فرع المحلّ الذي انشأهُ في الاسكندريّة هنري مارس الروسيّ المثري الشهير فسرَّ بهِ اصحاب المحلّ وقدَّروا نشاطهُ وقدّموهُ بين عمّالهم. وفي سنة ١٨٥٧ اخذ المحلّ المذكور بالتصفية وقدَّم مديرهُ استعفاءهُ فلم يجد هنري مارس رجلًا اجدر بان يقوم بادارة الاشغال من بشاره الخوري وهو اذ ذاك في مقتبل الشباب فعهد اليهِ بالامر لما كان يعرف من نزاهتهِ وغيرتهِ على مصالح اربابهِ

بيد انَّهُ لم يلبث قليدنا ان رأى في يدهِ رأس مالٍ كافٍ ليتعاطى التجارة على حسابهِ الخاص ففتح لهُ محلًّا واخذ يخابر التجار ويجدُّ في معاملتهم بغاية ما امكنهُ من اللطف والاستقامة. قال رحمهُ الله: «لمَّا رأى الناس انني صادق اللهجة حسن الطويّة

ثابت الكلام لا انكث عهدًا ولا أفِرُ في خدمتهم جهدًا اخذوا يتراودون عليَّ زرافاتٍ وتوفرت اشغالي. وكنتُ علاوةً على ذلك لا اطلب الارباح الفاحشة التي لا يُحصل عليها الّا بالمخاطرة برأس المال وارضى بما يسوقهُ الله اليَّ من الرزق القريب فصدق فيَّ قول القائل:

وجدتُ القناعة اصل الغنى فصرتُ باذيالها ممتسكْ

فما عثّمت الدنيا ان جاءتني صاغرةً فاخذتُ منها ما اهدتني وماء وجهي موفور وديني مصون »

وممّا ساعدهُ على المكاسب الطائلة معاهدات عقدها مع الحكومة المصريَّة ثمّ مع الحكومة الانكليزيَّة باثناء حرب السودان وكان اخذ على نفسهِ ان يقدّم للحكومتين ما تحتاج اليهِ جيوشهما من اللوازم فقام بهذه المهمَّات احسن قيام وآنس القوّادُ منهُ رجلًا شريف النفس ساميَ الهمّة لا يشترط على نفسهِ شرطًا الّا قام باكثر ممّا وعد. وقد عرفت لهُ الحكومة الانكليزيَّة هذه الخدمات الجليلة واثبتت في سجلّاتها تذكارًا حسنًا ينطق بشهامة المرحوم وشرف اخلاقهِ

ولمّا جرت في مصر الحركة العرابيَّة في سنة ١٨٨٢ ذكرت الحكومة الانكليزيَّة عمَلَها وما وجدت فيهِ من سلامة الطويَّة وسموّ المدارك فارسلت وخابرتهُ في بيروت لتعرض عليهِ ثانيةً عقدًا جديدًا في تهيئة المؤن والذخائر لجيشها فابى الاجابة الى سؤلها خوفًا منهُ أَلّا يسمح لهُ الوقت باتمام هذه المهمّة فيرتبك بشغل شاغل دون ان ينهض باعبائهِ حقّ النهوض. وكان مع ذلك يأمل من هذه المعاملة ربحًا وافرًا فآثر خسارتها على المخاطرة بعِرْضهِ وذمّتهِ. ولعلّ الله جازاهُ عن نزاهتهِ هذه عاجلًا لمّا التهمت النار في آخر الثورة العرابيَّة حيّ الاسكندريَّة الذي فيهِ كانت مخازنهُ فذهبت كلُّ الابنية المجاورة لهُ ولم تصب النار مخازنهُ باذًى فعدَّ الناس ذلك نعمةً خصوصيَّة

ومن خصالهِ الطيّبة ايضًا التي اعانتهُ على جمع الثروة انهُ كان يُحسن النظام في كلّ اشغالهِ ويضبط دفاترهُ ضبطًا مدقّقًا فلا يؤخر الى الغد ما يمكنهُ انجازهُ في نهارهِ. وكان يطلب من عمّالهِ الطاعة التامّة في اتمام اوامرهِ حتى في الامور الطفيفة. فاكتسب بذلك ثقة الجميع وصارت كلمة واحدة من فيهِ تُعتبر اكثر من الصكوك والحجج المسجّلة

وممّا رفع شأنهُ وزاد في علوّ مقامهِ انّهُ رحل مرارًا الى الاصقاع الاوربيَّة ودارم

فيها الاسفار من سنة ١٨٥٩ الى سنة ١٨٦٤ وتعرَّف بكثيرين من اصحاب المحلات الكبرى فابرم معهم معاهدات تجاريَّة اكسبتهم واياه مكاسب بالغة وقد رأوا في اعماله من الدراية وحسن التدبير ومحض الامانة ما زادهم رغبة في معاملته وقد ثبتوا معهُ بتبادل الاشغال الى آخر حياته

وبعد رجوعه من اوربَّة الى القطر المصري اقترن سنة ١٨٦٥ بعاري كريمة الفاضل التقيّ يوسف دبانة قنصل نابولي الُمثري في ذلك الوقت في مدينة صيدا(١). فكان هذا القران حليف اليمن والدعة مصحوبًا بالرفاء والبنين. ومن جملة اولاده هؤلاء بكرهُ الفاضل الخواجا ابراهيم والمرحوم اميل الذي اهتصرت المنون غصن شبابه رطبًا سنة ١٨٩٥

ولمَّا دخلت سنة ١٨٧٢ رأى انَّ في اقامته في القطر المصري مخاطر عديدة تداهم التجَّار عمومًا فتعرّضهم الى الخسائر الجسيمة وترنق صفاء عيشهم بهموم متواصلة. فترك القطر المصريّ وجاء بيروت فتوطنها وزاول فيها اعمال الصرافة مؤثرًا الربح القليل على التهور في المتاجرات الخطرة رغمًا عمَّا كان عليه من الحنكة التي كانت تمكّنهُ من جمع ثروة عظيمة. فما لبث ان صار محلُّهُ معدودًا بين المصارف الاولى لدربة صاحبه في الامور واستقامته في المعاملات. وكانت المصارف الاوربيَّة تعتمد عليه اعتمادها على المحلات العامرة التي لا تزعزعها عواصف الدهر وصروفهُ. وقد اقرَّ بذلك علانيةً سنة ١٨٩٥ زعيم تجار مرسيلية في نادٍ اجتمع فيه اكبر مديري المصارف حفاوةً بصاحب الترجمة يوم مرَّ في هذه المدينة فاستقبلهُ بقوله: «انّا نرحب بزميلنا الخواجا بشاره الخوري ونصدّرهُ في مجلسنا اقرارًا بفضله لأنهُ حقيقةً مرآة الشرف والاستقامة في الاقطار السوريَّة بل قدوة الفضل والكمال لكلّ اصقاع المعمور

وفي مدَّة تجوُّله في اوربَّة ابتلاهُ الله كما يبتلي عبيدهُ الابرار بوفاة قرينته العزيزة فتوفَّاها الله في ٢٤ أيار سنة ١٨٨٠ تاركةً لهُ ولدين واربع بنات. فلما علم بهذا المصاب العظيم قبَّل اليد التي ضربتهُ وخضع تمامًا لاحكامه تعالى. وفي منتصف حزيران من السنة ١٨٨١ تزوج بملكة كريمة صاحب الفضل والتُّقى حبيب عبد الله الموصلي. وواصل اشغالهُ بثباته وهمَّته المألوفة الى سنة وفاته

ولمَّا كانت غاية تشرين الثاني من سنة ١٨٩٠ انتخبهُ اعضاء جمعيَّة مار منصور

---

١) وأمها آسين بنت المرحوم يوسف خلاط

دي بول رئيساً عاماً ليخلف في هذه الوظيفة رجل البرّ والتُقى بطرس ديشان. فلبّى الى دعاء الاعضاء بكل طيب قلب. وهذه هي الرتبة الوحيدة التي احبَّ مباشرتها في حياته لما كانت تقتضيه منهُ من بذل الذات ومواصلة الحسنات نحو المكروبين. فادار هذه الجمعيَّة بنشاط لا يوصف وامدَّها بحسنات لا يعرفها الّا الله. هذا فضلًا عمّا تبرَّع عليها من المال الوافر منذ انضوائهِ الى هذه الشركة في ١٤ تموز سنة ١٨٧٣ وأيام نيابته لرئيسها العام سنة ١٨٧٧. وكان ايضاً رئيساً للجمعيَّة الخيريَّة للروم الكاثوليك

وفي آخر عمرهِ اصابتهُ اوجاع وبلايا عظيمة لاسيما وفاة نجليهِ العزيزين اميل وهنري فتوالى عليهِ الرزء مرَّة بعد أُخرى فتضعضعت قواهُ وتعاظمت عليهِ اعراض الامراض فكنت تراهُ كالذهب الابريز يمحصهُ الله بنار المحن ليزيد نفسهُ بهاء ويجزل ثوابهُ في دار البقاء. وكانت الكهنة من اصحابهِ يتردَّدون عليهِ فيعودونهُ في علَّتهِ ويثبتون عزمهُ على احتمال الصليب بصبرٍ مسيحيّ فكان يأنس بخطابهم ويشكر لهم فضلهم ويريهم من ايمانهِ عجائب. ولمَّا شعر نسيبهُ الغيور الفاضل الاب انطون عكَّاوي بقرب حلول اجلهِ استدعى لهُ كاهن الرعيَّة الاب بناديكتوس الذي كان يلازمهُ في مرضهِ فزوَّدهُ بكلّ اسرار الكنيسة وقابهُ مفعم سروراً لملاقاة الالهِ الذي اخلص خدمتهُ مدَّة حياتهِ بلا انقطاع ولا فتور. وكانت الشركات الخيريَّة والجمعيَّات الرهبانيَّة وكلّ اصحاب الخير يقيمون اذ ذاك الصلاة الحارَّة لبقاء هذا الرجل الصالح. غير انَّ الربَّ وجدهُ كثمرة يانعة آن وقت قطفها لينقلها الى جنَّة الخلد. فكانت وفاة المرحوم في ٢٨ آذار سنة ١٨٩٨

فما طار منعاهُ في انحاء البلدة حتى عمَّ الحزن والاسف قلوب جميع معارفهِ واصدقائهِ والحق يقال انَّهُ لم يكن لهذا الرجل البارّ غير اصدقاء واصحاب لما كان مفطوراً عليهِ من الخلال الفريدة التي قيَّدت لهُ القلوب بإسار الحبّ والاعتبار. وقد ظهر ذلك في حفلة جنازتهِ اذ تبع نعشهُ زهاء عشرين الف نسمة يتقدَّمهم فرقة من الضابطة وبيقجيَّة الدول وطلبة مدارس جمعيَّة مار منصور دي بول ومكتب الروم الكاثوليك ومأوى اليتامى وكلُّهم يحملون الشموع والمشاعل وينشدون الاناشيد الشجيَّة وعلى وجوههم امارات الحزن. وحضر هذا المأتم عدد غفير من اكليروس جميع الطوائف ورؤساء الرهبانيَّات واعيان البلدة ووجوهها واعضاء كلّ الجمعيَّات الخيريَّة

وكان من ينظر هذا المشهد الاثير يخال لهُ انَّ بيروت كلها اجتمعت لتشييع المرحوم الى دارهِ الاخيرة اسِفةً على فقد من كان غياثًا للفقراء وثمالًا للايتام والارامل وسندًا لكلّ الاعمال المبرورة وفخرًا لآلهِ الكرام وطائفتهِ الجليلة ووطنهِ العزيز وللنصرانيَّة باجمعها . وصلَّى عليهِ تسعة مطارنة في مقدَّمتهم سيادة الحبر الجليل كرلوس دوڤال القاصد الرسولي وصاحب الغبطة السيد المفضال البطريرك بطرس الجريجيري الذي أبنَهُ في الكنيسة بخطاب انيق استنزف بهِ دموع الحضور مدرارةً واضرم في القلوب لوعةً على الفقيد لم يُخمد لظاها حتى الآن . وممَّن أبنَهُ على شفا تربتهِ حضرة الڤيكونت فيليب دي طرَّازي الذي خلفهُ في رئاسة جمعيَّة القديس منصور وغيرهُ من الافاضل

وقد اشتركت حكومتنا السنيَّة بهذا الخطب الجلل فاظهرت ما تكنُّهُ صدور اهل الدولة من الاعتبار السامي لشخص الفقيد فانَّ صاحب الدولة نعوم باشا متصرّف جبل لبنان نزل من مركزهِ في بعبدا الى بيروت لحضور المأتم وتعزية أُسرة المرحوم . وارسلت قناصل الدول العظمى وفدًا من ارباب المناصب ليمثّلوها في هذه الحفلة . كما ان دولتلو والي ولاية سوريَّة ناظم باشا بعث من يقدّم لعائلة الفقيد واجبات التعزية . وكنتَ ترى اكلَّة الزهور متراكمة فوق النعش منضَّدة على احسن هيئة . واشترك بمظاهر الحزن على الفقيد الروم الارثدكس والبروتستنت فكانت اجراسهم تقرع عند مسير المأتم . وفي الاجمال يصحُّ القول انَّ هذا المأتم لم ترَ لهُ بيروت مثيلًا من ذي قبل ولعلَّها لن ترى امدٍ الى بعيد

٢

٢ فضائل الفقيد

انَّنا في قسمنا السابق لم نذكر الَّا النزر القليل من حميد سجايا المرحوم بشاره الخوري . وقد اجَّلنا الى هذا القسم اشياء كثيرة تنبئ على سموّ فضلهِ وأغلب هذه الاعمال لم تنظرها اعين الناس وهي لذلك اجدر بان تسطَّر في بطون الصفحات وذكرها اوقع في النفوس من المآثر الظاهرة التي يستعظمها الجمهور عادةً

واوَّل ما يحسن بنا ذكرهُ في هذا الباب ايمان الفقيد وتُقاهُ فانهُ رحمهُ الله كان قد تشرَّب روح الدين منذ نعومة اظفارهِ حتى صار فيهِ كغريزةٍ راسخة في سويداء قلبهِ . ولذلك لم يكتفِ بتتميم كلّ فرائضهِ الدينيَّة كما هو شأن المسيحيّ الصادق الايمان بل

كان يفرض على نفسه صلوات عديدة ينجزها بما امكنهُ من النشاط والغيرة. وكان على مثال والدهِ يصلّي الفرض الرهباني القانوني بتمامهِ ويتلو مع عائلتهِ واولادهِ صلاة الصبح والمساء ويثابر على حضور القداس الالهي كلّ يوم بل كان يشارك كهنة طائفتهِ في صلواتهم الجهاريَّة كالخدمة وتلاوة الرسائل دون حياء بشري. وكان اذا صدَّهُ المرض عن الذهاب الى الكنيسة يستدعي باذن الرؤساء كاهنًا يقيم الذبيحة الطاهرة في بيتهِ. وكان محافظًا باشدّ الحرص على القطاعات والصيامات الكنسيَّة اللهمَّ الَّا في وقت المرض وبرخصة مرشد ضميرهِ. وقد بلغت بهِ وصيَّة حفظ الآحاد والاعياد الى ان يمتنع في تلك الأيَّام عن فضّ تحارير البريد ويقضي اذ ذاك صلب نهارهِ في مناجاة الله وقراءة الكتب الروحيَّة والتفرُّغ لجميع الاعمال المبرورة

وكان قلبهُ كلفًا بسرّ القربان الاقدس فيتقرَّب من المائدة السمويَّة في السبوت والاعياد بايمان حيّ وورع عجيب. وكان كلّ يوم مساء يزور القربان لا سيَّما في كنيسة المصيطبة فصار بذلك قدوةً لاهلهِ وبعض اصحابهِ الذين اخذوا عنهُ هذه العادة الحميدة ولا يزالون يداومون عليها. وقد حملهُ حبُّهُ لسرّ هيا كلنا ان يشترك باخويَّة قلب يسوع الاقدس ويبثُّ بين اهلهِ وخدَّامهِ ومعارفهِ التعبُّد لقلب ابن الله ويقيم في بيتهِ رتبة شهر حزيران المخصَّص لاكرامهِ

امَّا محبَّته لوالدة الله فكانت اشبه بحبّ الابن نحو والدتهِ لا يدع يومًا يجتاز عليهِ دون ان يحيّيها ببعض الصلوات ويبدي لها الاكرام البنوي. وكان مشتركًا بثوب سيدة الكرمل ويتقرَّب الى الاسرار المقدَّسة في اعياد البتول الطاهرة وسبوتها

ومن الشواهد العديدة الدالَّة على تديُّنهِ أنَّهُ كان يختلي كلّ سنة في بعض الاديرة أيَّامًا معلومة يصرفها في الرياضات الروحيَّة بارشاد بعض الكهنة الافاضل وكان اذ ذاك يحفظ السكوت التام في بيتهِ مع ذويهِ وقد شاهدناهُ مرارًا في كليَّتنا يتفرَّغ لهذه الرياضات فيعيش بيننا عيشة الرهبان وكان حضرة الاب ميشال جوليان يتولى ارشادهُ وهو معلّم ضميرهِ وعنهُ اخذنا بعض هذه الافادات التي دوَّنَّاها في نبذتنا. وكان عند ما يقضي فصل القيظ في مصيفهِ بكفين يحبّ الاختلاء في دير الشير للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين. ولمَّا كان الصوم الكبير من سنة وفاتهِ استدعاهُ رئيس كليَّتنا الى رياضة أُقيمت لبعض اعيان البلدة في جنينة المدرسة فلبَّى دعاءهُ ولكن حال المرضُ الاخير دون

اتمام بنيته وارسل كأساً من الفضة للمعبد الذي يحتشد فيه المترّوضون

ومن شعائره الدينيّة محبّته لكنيسة الله واثمة احبارها وانتشار الدين المسيحي . وقد ساقهُ عظم تعلّقه بالسدّة البطرسيّة الى ان يقصد رومة العظمى مرّتين ليحظى بالمثول امام الاحبار الرومانيين فباركهُ السعيد الذكر البابا بيوس التاسع وقداسة الحبر الجليل لاون الثالث عشر المالك سعيداً . ومن ذلك ايضاً المال الوافر الذي صرفهُ لبناء الكنائس . نخص منها بالذكر كنيسة البشارة في المصيطبة وكنائس عديدة ساعد على تشييدها الاب يوسف برنيه اليسوعي في جهات حمص وعكّار جعل لهُ مبلغاً معلوماً لكلّ كنيسة يبتنيها في تلك النواحي . واليه يعود الفضل خصوصاً في تشييد كنيسة جميلة في قرية عاليه . وكان اتّخذ لهُ ديدناً ان لا يجزل العطاء فقط على الكنائس بل يمدّ ذلك نعمةً فيشكر فضل الذين يستلفتون انظارهُ الى مثل هذه الاعمال المبرورة التي تكسبهُ اجراً عند الله

وكانت غيرتهُ على النفوس مضطرمة يسعى غاية جهده في خلاصها . وكان اوّل همّه ان يطبع في قلوب اولاده حبّ الفضيلة ويصونهم عن كل ما من شأنه ان يدنس ضمائرهم ولو بالذنوب الخفيفة فيكرّر على مسامعهم قول الملكة بلنش دي كاستيل لابنها القديس لويس ملك فرنسة « انهُ مع حبّه لهم يؤثر ان يراهم امواتاً من ان يغيظوا الله بخطيئة واحدة » . ولاجل غيرته هذه على خلاص النفوس كان يبذل الدراهم عن يد سخيّة لانشاء المدارس وتثقيف الاحداث على المبادئ الدينيّة والآداب الحسنة

وكان المرحوم يحبّ طائفتهُ حبّاً عظيماً ويرتاح الى حضور طقوسها الجليلة ويفرغ الوسع في تقدّمها ونجاحها ويكرم رعاتها النبلاء . بيد انّ ذلك ما كان لينسيهُ انهُ ابن كنيسة منتشرة في الخافقين . ومن ثمّ كنت تراه مجتهداً في تعزيز الكثلكة عموماً يتردّد على رؤساء جميع الطوائف والرهبانيات ويبدي لجميعهم الاكرام اللائق ويتوق الى رؤية الوفاق والاتحاد بين الطوائف المتفرّقة . ولم يقبل رئاسة جمعيّة مار منصور الّا لما وجدهُ فيها من الحبّ العامّ الشامل لكلّ الطقوس الكاثوليكيّة . ولمّا عرف ان انطون ابن خالته ايوب العكّاوي يقصد الترهّب في جمعيّة الآباء العازريين فعارضهُ كثيرون في تتميم قصده اخذ المرحوم يدافع عنهُ وساعدهُ على تحقيق امانيه

ولا تنسى الرهبانيّة اليسوعيّة فضلهُ لما استنفدهُ من الوسع مع بعض الادباء في

سنة ١٨٧٦ ليفتح لابناء القديس اغناطيوس رسالةً في القطر المصري وكتب في ذلك الى المجمع المقدَّس في رومة وارسل المعاريض المضاة باسماء كثيرين من الافاضل فاجاب المجمع الرسولي الى سؤله بعد قليل

ومن صفات الفقيد تواضعهُ العجيب فانهُ كان يسيء في نفسهِ الظنَّ ويحبُّ ان ينقاد الى مشورة غيرهِ حتى في الامور الصغيرة واكثر ما كان يظهر منهُ ذلك لدى مرشد ضميرهِ فانهُ كان امامهُ كطفل يعرض عليهِ بسذاجة خفايا قلبهِ ولا يأتي امرًا الّا بمشورتهِ

وكان تواضعهُ هـذا يزيد الناس اعتبارًا لشخصهِ الاثيل. فمن ذلك انَّ جلالة اللندغراف دي هاس (de Hesse) الالماني الشهير كان يجلُّهُ ويعظّمهُ منذ تعرَّف بهِ في احدى سياحاتهِ الى الأَقصر (تبية) ثمَّ مرَّ البرنس ببيروت بعد سنين فاوقف سفينتهُ ساعتين ليتمكَّن من زيارتهِ في بيتهِ وترك لهُ صورتهُ تذكارًا. ولمَّا قدم دون بدرو ملك البرازيل الى سوريَّة للتجوُّل فيها لم يرضَ رفيقًا غير صاحب الترجمة لما بلغهُ من دماثة اخلاقهِ ورقَّة طباعهِ وكان المرحوم وقتئذٍ نائبًا لقنصل البرازيل

ومن دلائل تواضعهِ العجيب انَّهُ كان يحب الاعتزال عن الرتب العليا والمناصب الجليلة والامتيازات الفاخرة. فمن ذلك ان السعيد الذكر البطريرك غريغوريوس الحَّ عليهِ من امدٍ مديد بان يقبل رتبة الكُنتيَّة الرومانية الخطيرة فأبى قبولها. وقد نال خفيةً عنهُ وسام القديس غريغوريوس الكبير من رتبة كاڤليار والوسامين العثماني الثالث والمجيدي الرابع. وكان اصدقاؤهُ يحضُّونهُ على ان يرشح نفسهُ ليكون عضوًا في ادارة الولاية ليمثِّل فيها طائفتهُ وبيَّن لهُ دولة والي بيروت ارتياحهُ الى اقتبالهِ هذه المهنة لكنَّ الفقيد ابى ذلك مطلقًا خوفًا منهُ ألّا يحسن القيام باعباء مهنتهِ

وكان لشدَّة تواضعهِ يتجنَّب كل عمل يكسبهُ لدى الناس مجدًا باطلًا فكان يصنع المبرَّات متسترًا يودُّ على موجب قول الرب الّا تعلم شمالهُ ما تعطي يمينهُ

بيد انَّ ما امتاز بهِ هذا الرجل العظيم انما هو كرمهُ وحسناتهُ الوافرة للفقراء والمحتاجين. فمن ذلك انَّهُ تصدَّق الى جمعية مار منصور بنحو مئة الف غرش وترك لها بموجب صك وصيَّتهِ اربعة آلاف فرنك. ولمَّا انشأت الشركة في سنة ١٨٧٧ مدرستين مجَّانيتين في حيّ رأس بيروت وحيّ الرُّميلة لتعليم الفقراء قام الفقيد باكثر نفقاتهما. ولمَّا حدثت الفتنة العربيَّة سنة ١٨٨٢ ولجأ كثيرون من المصريين الى القطر السوريّ تبرَّع

وجمع للشركة من ماله ٢٠,٠٠٠ الف فرنك لمساعدة المهاجرين في ضنكهم وتمكينهم من العود الى بلدهم بعد خمود الفتنة. على ان جمعية مار منصور لم تكن لتذهل عن معرفة الجميل فقد اقامت لراحة نفسه جنّازين احدهما بعد وفاته والآخر في تذكار موته السنوي

وكان يدفع سنويًا مبالغ وافرة لراهبات المحبّة لتعليم الايتام واليتامى ويرسل اليهن خفيةً طحينًا من الصنف الافضل وكان يقول: « انَّ للفقراء حقًّا ان يأكلوا من احسن جنس ». ومن اعماله المشكورة انهُ كان شديد الاهتمام في تسهيل زواج البنات على اختلاف طوائفهنَّ من العائلات المستترة اللواتي اخنى عليهنَّ الدهر فيدفع لهنَّ ما يحتجنَهُ لجهازهنَّ. ومن ذلك ايضًا انهُ افرز منذ سنة ١٨٨٤ عشرة آلاف ليرة يتصدَّق بريعها كلَّ سنة على الفقراء. ولم تخلُ مدينة من بلاد الشام من دلائل كرمهِ الحاتمي فكان كلَّ سنة يرسل مبالغ الى الشام وزحلة وبيروت وصور وصيداء وعكا وحيفا ويافا منها صدقات للمحتاجين ومنها حسنة قداسات للكهنة. وكان خصَّص سنويًا مبالغ أُخرى لفقراء الاسكندريَّة ومصر ولجمعيَّتي مار منصور دي بول في ليفربول ولندرة. وصدقات عديدة وافرة للجمعيَّات والرهبانيَّات في انكلترة وللكردينال رئيس اساقفة لندرة. وفي ١٨٩٥ بلَّغ الحكومة المصريَّة ١٨ الف فرنك لتنفقها في المستشفيات المصريَّة فارسل نوبار باشا يشكر لهُ هذه الهبة الحاتميَّة. هذا فضلًا عن ٥٠٠ ليرة أُخرى تبرَّع بها في القطر المصري ومبرَّات وافرة كان يحسن بها كلَّ يوم الى المحتاجين بقطع النظر عن طوائفهم لا يستثني احدًا من البائسين بل يقتصد في معاشهِ ليزيد في مبرَّاتهِ

وممَّا يُخبر عنهُ انَّ بعض اهل الثروة اوعز اليهِ يومًا بان يحيي في بيتهِ ليلةً راقصة يدعو اليها وجوه البلدة. فسأل المرحوم: وكم يقتضي ذلك من المصروف؟. قال: نحو خمسة آلاف فرنك. فاستدعى الخواجا بشاره من ساعتهِ احد عملائهِ وتقدَّم اليهِ بان يفرز لهُ المبلغ المذكور ليوزّعهُ في غد ذاك النهار على الفقراء فيدَّخر لهُ بذلك ثوابًا افضل من احياء الليالي الساهرة في المسرات والملاهي. وقد بلغت وصيَّتهُ للفقراء ٧٥٠٠ ليرة

ولا حاجة الى القول انَّ الفقيد لم يبخل بمالهِ لينفق في المشروعات المدنيَّة الآئلة للخير العمومي ونشر العلم. فانهُ كان اوَّل من يكتتب لانجاز هذه الاعمال النافعة. وفي متحف العاديَّات الذي في كليَّتنا شاهد على سخائهِ. وهو ناووس من الرصاص عليهِ نقوش وتصاوير جميلة يرتقي عهدهُ الى الفينيقيين وجدهُ سنة ١٨٨٧ عند حفر اساس احد بساتينهِ

فلمَّا اكتشفهُ جاد بهِ على مدرستنا الكليَّة جازاهُ الله خيرًا

وما كان المرحوم ليكتفي بدفع هذه المبالغ الجسيمة للفقراء والمساكين بل كان يحبُّ ان يزور بنفسهِ اكواخهم ويحمل اليهم بيدهِ المساعدات اللازمة وكان يعود المرضى ويعزيهم بكلامهِ المتدفق رقَّةً ولطفًا

وقد اخبرنا صديقهُ الفاضل الخواجا نقولا قماطي (ومنهُ استقدنا تفاصيل كثيرة من هذه الترجمة) انهُ عاد وايَّاهُ في ٣٠ تموز سنة ١٨٧٤ مريضًا في مكّين من اصحاب الثروة كان قلب لهُ الدهر المجنّ فاخذ المرحوم يطلب لهُ وسائل التعزية والسلوان وذكَّرهُ بمثل طوبيًا البارّ وبقول الملاك لهُ انّ الله يبتلي اولياءهُ بالمحن ويختبرهم بالبلايا. ثمَّ ركب عجلةً تقلُّهُ مع قرينتهِ وجناب الراوي من مكّين الى عاليه فجمحت الخيل في طريقها بترب وهدة عميقة وانقلبت العجلة بالركّاب. فنجا المسيو نيقولا وقرينة المرحوم امَّا صاحب الترجمة والخوذي فسقطا في الهاوية ولم يشك احد في موتهما الَّا انَّهما سلما بنعمةٍ من الله باهرة. امَّا المرحوم فانسلخ جلد رأسهِ وانكسرت رجلهُ وترضَّضت اعضاؤهُ لكنَّهُ اظهر من الثبات والجلد ما قضى بالعجب ونسي نفسهُ ليسأل عن امرأتهِ وصديقهِ. ولم يُسمع من فيهِ وقتئذٍ غير اسماء يسوع ومريم ويوسف والتسليم الى ارادتهِ تعالى وطلب الرحمة منهُ. ولمَّا عاد الى مكّين وهو على آخر رمق استدعى كاهنًا واعترف بخطاياهُ ثمَّ قال: «قد اتممنا الآن الامر الجوهري فلا بأس من العرض». وبقي زمنًا طويلًا طريح الفراش حتى شفاهُ الله تمامًا

على انَّ هذه المحنة لم تكن المصيبة الوحيدة التي اصابتهُ والاحرى ان يقال انَّ حياتهُ كانت كسلسلة من المصائب احدقت بهِ فاذاقتهُ العذاب ألوانًا فمن ذلك داء الحصاة الذي ابتُلي بهِ فاستلزم عمليَّات جراحيَّة مؤلمة جدًّا احتملها بصبر عجيب. ومن ذلك ايضًا فقد قرينتهِ واولادهِ وأحبابهِ كما مرَّ. ولم يجد في هذه الرزايا سلوانًا الَّا في صبرهِ الجميـل وفضيلتـهِ السامية التي ظهرت في تلك الاثناء كالشمس في رابعة النهار. ولدينا مكاتيب افرنسية كتبها في اثناء هذه المصائب تنطق بصدق ايمانهِ وباعتصامهِ بحبل الله

هذه عجالة كتبناها في رجل البرَّات المشهورة والحسنات المشكورة الذي متَّع الله بلادنا السوريَّة بفضائلهِ وخصائلهِ الفريدة فلعلَّها تكون كمثالٍ يقتدي بهِ الكبراء وسلوانٍ يبرّد لوعة آلهِ الفضلاء. وشاهد حيٌّ على قول الكتاب في سفر الامثال (١٩: ١٧): من يرحم الفقير يُقرض الرب فيجزيهِ بصنيعهِ

. التماثيل المتحرّكة او الناطقة (Les Automates)

. لاحد ادباء العراق

طالعتُ في مجلة الضياء (٢ : ١١٣) مقالةً مترجمة بهذا العنوان وهي من قلم احد الافاضل في العاصمة يقول في بعض صدرها : « وانا أرجو من افاضل قومنا وارباب الاطلاع منهم ان يوافوا المجلات بما يعلمونهُ من هذه الشواهد من هذا القبيل وغيرهِ احياء لذكر السلف. فقد اعتادت الجرائد والكتاب الاستشهاد بافاضل الافرنج وأقوالهم واعمالهم لسهولة المأخذ والنقل واهملوا شأن اجدادهم العرب الكرام كأنهم لم يكونوا شيئًا مذكورًا »

قلتُ: وقد قرأتُ قبل ذلك شيئًا من هذا الباب في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميريّ في موضعين ولم اتذكَّر الآن الّا موضعًا واحدًا وهو ما جاء في ترجمة الزاغ (٢ : ٢ من الطبعة المصرية). قال « : رأيت في المنتقى من انتخاب الحافظ السِّلَفي وفي آخر ورقة من عجائب المخلوقات عن محمّد بن اسمعيل السعدي انهُ قال : وجَّه اليَّ يحيى بن اكثم فتوجَّهت اليهِ فلمّا دخلتُ عليهِ اذا عن يمينهِ قِمطر فاجلسني وامر ان يُفتح فاذا شيء خرج منهُ رأسهُ كرأس انسان ومن أسفلهِ الى سُرَّتهِ على هيئة زاغ (corneille) وفي صدرهِ وظهرهِ سلعتان (deux petites bosses) (قال) : ففزعتُ منهُ ويحيى يضحك. فقلتُ لهُ : ما هذا اصلحك الله ؟ فقال لي : سل عنهُ منهُ. فقلت لهُ : ما انت ؟ فنهض وأنشد بلسان فصيح :

انا الزاغ ابو عجوة (١ انا ابنُ الليث واللبوهْ
أحبُّ الراح والريحا نَ والقهوة والنشوهْ
فلا عَدْوى يدي تُخشى ولا يُحذر لي سطوهْ
ولي اشياء تُستظرَ فُ يوم العرس والدعوهْ
فمنها سلعةٌ في الظهـ ـرِ لا تسترها الفَروهْ
واماَّ السلعة الاخرى فلو كان لها عُروهْ
لما شكَّ جميع النا س فيها انَّها ركوهْ

ثمَّ صاح ومدَّ صوتهُ : « زاغ زاغ » وانطرح في القمطر. فقلتُ : اعزَّ الله القاضي. وعاشق ايضًا ؟ فقال : هو ما ترى لا علمَ لي بامرهِ. الّا انهُ حُمل الى امير المؤمنين مع

١) العَجوة من اجود التمر في المدينة وفيهِ اشارة الى ما على عنقهِ من السلعة

كتابٍ مختوم فيه ذكر حالهِ لم اقف عليه. انتهى. وهــذا الخبر قد رواهُ الحافظ ابو طاهر السِّلَفي على غير هذهِ الطريقة. وهو ما اخبر بهِ موسى الرضا. قال: قال ابو الحسن عليّ بن محمّد دخلت على احمد بن ابي دؤاد وعن يمينهِ قطر فقال لي: اكشف وانظر العجب فكشفت فخرج عليَّ رجلٌ طولهُ شبر من وسطهِ الى أعلاهُ رَجُلٌ ومن وسطهِ الى اسفلهِ صورة زاغ ذَنَبًا ورِجلًا. فقال لي: من انت ؟. فانتسبتُ لهُ. ثمَّ سألتــهُ عن اسمهِ فقال:

انا الزاغ ابو العجوهْ حليف الخمر والقهوهْ
ولي اشياء لا تُذكَـ ـرُ في القصف وفي الدعوهْ
فمنها سلمة في الطّهْـ ـرِ لا تسترها الفروهْ
ومنها سلمة في الصد رِ لو كان لها عروهْ
لما شكَّ جميع النا س حقًا انَّها ركوهْ

ثمَّ قال: أنشِدني شيئًا في الغزل (وفي الاصل: العزل) فانشدتهُ:

وليلٍ في جوانبهِ فضول من الاظلام اطلس غيهبانِ
كأنَّ نجومهُ دمعٌ حبيسٌ ترقرق بين اجفان الغواني

فصاح: وا أبي وامّي. ورجع الى القمطر وستر نفسهُ. فقال ابن ابي دؤاد: وعاشق ايضًا ? ». اه. قلتُ وقد جاء ذكر هذه العجيبة في الصفحة ٣٤٢ من ذلك الجزء لكن في الهامش مع اختلاف في الرواية فلتراجع هناك

قلتُ ثانيًا: وهذا النوع من التماثيل يُسمى عند الافرنج Bilboquet بمعنــاهُ الثاني (١ ويصحُّ ان يُطلق عليه بالعربيَّة اسم التمثال الشُّبوب. وهو مأخوذ من الفرس الذي يقوم على رجليهِ ويرفع يديه (فقه اللغة للثعالبي)

وبعد ان كتبت هــذه الاسطر اتممت قراءة تلك المقالة فرأيت صاحب الضياء يُعقّب على المراسل بما نصهُ:

« ان اكثر كتَّابنــا قلَّما كانوا يهتمُّون بوصف المصنوعات والكشف عن اسرارها على ما سبق لنا الالماع اليه في غير هذا الموضع وذلك فضلًا عن ان اكثر المؤرخين عندنا لم يكونوا من اهل هــذه الشؤون. وانظر ما وصف بهِ ابن جُبير الساعة المائيَّة التي كانت في دمشق ترَ العجب من ذلك البيان الذي دلَّ على انَّ الرجل كان من ابعــد

١) على انَّنا كنَّا نودّ لو افادنا الدميريّ شيئًا من تركيب هذه الآلة وكيف لقَّنها اصحابها هذه الابيات. ولعلَّها كانت تشبه الآلة الناطقة التي نعرفها اليوم بالفونوغراف

الناس عن المدارك الصناعيَّة . وكذلك ما نقلهُ ابن اياس من وصف الشمعدان المذكور هنا فانهُ لم يحكِ فيهِ الّا كلاماً مبتوراً لا يكاد يستفاد منهُ تصوُّر شيءٍ من امرهِ ولاسيما مع غرابة الخبر وبعده عن المدارك البديهيَّة حتى يتخيَّل السامع أنهُ اختلاق » اه بحرفهِ

قلتُ : كيف يقول صاحب الضياء هذا القول وهو في كلامهِ عن التماثيل المتحركة في الجزء الثاني لم يذكر الّا اسماء بدون وصف . اما كان الاجدر به ان يقرّ مثلاً أنهُ لم يعثر على شيء من هذا القبيل عند العرب . وانهُ يسأل القرَّاء ان يفيدوهُ بما يعمون عليهِ من هذا الباب ؟ . ولكن قد رأينا الشيخ غير مرَّة يستصعب مثل هذا الاعتراض ويعدُّهُ نقصاً بمقامهِ الرفيع . والحقيقة انَّ هذا الاقرار يُعلي كعبهُ ويرفع شأنهُ وان ليس من عالم او عارف الّا ويصدق ان يقال فيهِ :

قل للذي يدَّعي في العلم معرفةً عرفتَ شيئاً وغابت عنك اشياءُ

الى الغد

نقلًا عن اللغة الافرنسية

للشاب الاديب جرجي عطيَّه احد تلامذة مدرستنا الكليَّة

كان الشاعر الافرنسي ميلڤوا (Millevoye) شديد الميل الى ترويح نفسهِ في حديقة ڤنسان (Vincennes) الغضَّة فكان يلجأُ اليها في غالب احيانهِ مطلقاً لجياد افكارهِ عنان التصوّرات تحت ظلال الاشجار الكثيفة . وكان لخاطرهِ بهذه العزلة راحةٌ لا يشعر بها بين ضوضاء العالم ولا تُقاس بها مسرَّات الالفة فقد تزايدت عليهِ الاشجان وما من خليل يلقى عندهُ عزاءً وثقلت عليهِ اعباء المجتمع حتى لا يرى في سوى الانفراد لذَّةً وهناءً . ففي صباح يومٍ من ايام الربيع بينما الشمس ترتفع في الافق مرسلةً اشعَّتها كسهام من التبر تخترق كبد الفضاء ومكلّلةً بانوارها رؤوس الأدواح الغنياء كان هذا الشاعر يجوب بقدمٍ طروب أنحاء الغاب الذي احبَّهُ فؤادهُ منذ كان صبياً . فلمح في احدى جهاتهِ غادةً جالسةً الى جذع احدى الاشجار تستذري بظلّها وهي في روعة الشبيبة وقد اكتست باثواب الحداد . فقرأ على غضون وجهها الاصفر الضئيل والحاظ عينيها الفاترتين وهيئة اجفانها الذابلة آيات حزن مفجع قد اضطرمت نيرانهُ بين احشائها .

على انهُ على وقع اقدامهِ رفعت السيدة رأسها وقد ظهرت عليها لوائح الاضطراب لهذه المفاجأة ثمَّ نهضت وابتعدت مسرعةً الى وجهة معلومة. عندئذٍ تقدَّم ميلڤوا الى حيث كانت جالسةً فوجد هنالك كتاباً لها نسيتهُ سهواً فاذا بهِ نسخة من احد مجاميع اشعارهِ. وكان مفتوحاً في صفحةٍ منهُ قد تركت عليها الانامل آثاراً بيّنة تنبئ بكثرة تقليب الايدي لها وهذه الصفحة تحتوي على القصيدة التي وصف بها هذا الشاعر محبَّة الوالدات مصوِّراً عادات مؤثرة لامم بلاد كندا في فقد اولادهم قال منها:

يا لعادات أُمَّةٍ ووفاء	عندهم لا يحكيهِ منا الوفاءُ
فلكم جانبَ النهورِ اقاموا	حيث تجري دموعهم والدماءُ
تغتذي نفسهم ببرّح حزنٍ	وحرامٌ لها سواهُ غذاءُ
يألفون القبور يُجرون دوماً	فوقها دمعاً دونهُ الانواءُ
واذا مرَّ العام يبعث ذكرى	خطبهم جدَّ في القلوب البلاءُ
فيجيئونها حيارى بصمتٍ	منهُ كادت تُفطّر الاحشاءُ
فابٌ يلثمُ التراب ويهمي	صوبَ دمعٍ تُسقى بهِ الغبراءُ
يندب ابناً لهُ ضجيعَ ضريحٍ	قد سباهُ من راحتيهِ القضاءُ
ويناديِ الضريحَ وهو يُرجي	انهُ يستجاب ذاك النداءُ
ثم اذ لا يفوز بالقصد يدعو	آهِ والهفتاهُ خاب الرجاءُ
وكذا الام ترفع الطرف حزناً	لسماء واين منها السماءُ
ترسل الجفن بعد دمعٍ وتبكي	فلذة القلب ليس يجدي البكاءُ
ثم اذ تلفظ اسم مَن ثكلتهُ	حيث تُنهي صلاتها والدعاءُ
تسل النبر من حشاها دماءً	فيهِ لابنها الفقيد ثواءُ

فتأثرت عواطف هذا الشاعر ودفعهُ الفضول وحاسَّةٌ من العجب الى اقتفاء آثار هذه السيدة والاطلاع على دخيلة امرها. فحثَّ خطاهُ وادركها داخلةً الى القلعة التي على التل مقابل قرية فونتاني. فشرع هنالك يسأل الاهلين عنها وعن احوالها الحاضرة. فعرف انها البارونة ب... ارملة ضابط من الجيش أُصيب في الحرب. وانها فقدت منذ بضعة اشهر ولدها الوحيد البالغ من العمر ستَّ سنين ويظهر ان هذه الفاجعة التي المَّت بها قد وقعت من نفسها موقعاً شديداً حتى اضاعت رُشدها فانهم كانوا يشاهدونها بعض الاوقات في حديقتها واقفة على انفراد لا تبدي حراكاً وعيناها جامدتان محدقتان الى الامام. ويُقال انها لم تذق سِنة الكرى من بعد موت ابنها فهي تذهب كلَّ يوم الساعة السابعة صباحاً وهي الساعة التي قضى فيها نحبهُ الى مدفنهِ الذي كتبت عليهِ

« الى الغد » وهناك تبقى جاثية ساعات برمّتها تناجي رمم ابنها المحبوب. فهذا الخبر هاج عواطف ميلثوا وأثّر في فؤادهِ الرقيق ومن لا يتأثّر لمثل هـذا الحزن الذي يصدع الجماد ؟

ففي الغد عند ما ذهبت الام المسكينة تزور قبر ابنها بحسب مألوفها وجدت ورقة مطوية بين الازهار التي كانت غطتهُ بها مساء امس فتناولتها بلهفةٍ وقرأت فيها باضطراب لا يوصف ما يلي:

تحت ذي الازهار بل تحت الحجرْ حيث تأتينَ اذا لاح السحرْ
انا امني ساماً منك الزَّفَرْ وصلاةً ودعاء قد ظهرْ
آه وا لهفي وما لي من نظرْ

آه لو تعوينَ يا امي على غلبة الحزن الذي قد حصلا
من فراقي عند ما الدهر ابتلى فتامين فابدو عجلا
لك في الحلم وترون البصرْ

قرأتْ البارونة هذه الابيات والعجب قد اخذ منها كلَّ مأخذ ففكّرت لعلّها تعرف اليد التي كتبتها. على انّ الشطرين الاخيرين انطبعا على لوح ذاكرتها بما فيهمـا من الوعد الذي تحنّ اليه وهما:

فتامين فابدو عجلا لك في الحلم وترون البصرْ

فسبّبا لها فرحاً جزيلاً ضاء بهِ محيّاها استبشاراً ومنذ تلك الساعة اخذت تطلب الى النوم سبيلاً وما كاد الليل يقبل جارّاً ذيول دياجيه حتى غاصت الوالدة المسكينة في لجج المنام فرأت — وما الاحلام في الحقيقة الّا آثار بعض أفكار تدور في الخاطر نهاراً او امور تنصرف نحوها جلّ اهتمامات الانسان — ولدها الوحيد ألفرد بين جمهور من الملائك مبتسمين تتدفّق من وجوههم انوار النعمة. فاعتنقتهُ بذراعيها واقبلت عليه تقبّلهُ وتروي غليل فؤادها الظمآن من زلال ثغرهِ. وقد كان يتملّص منها احياناً ثم يعود فيطير حول جبينها باجنحتهِ اللامعة. فيا لهُ من ليلٍ سارّ قضتهُ هذه الامّ متنعّمة بهذه الرؤيا. وسطوة النوم اللذيذ ابقتها في السرير برهةً طويلة بعد الوقت الذي كانت تزور فيهِ الضريح. فحالما استيقظت لبست اثوابها ثم اسرعت الى قبر ولدها ولكنّها لم تتمكّن من البقاء هنالك الّا بضع دقائق لانهُ كان نهار احد وجمهور المسيحيّين اقبل مزدحماً حواليها ملبّياً نداء الجرس الذي دعا المؤمنين الى الكنيسة المجاورة

ففي الساعة الخامسة من صباح الغد وافت الام الى الضريح بعد ليل من الضنك لم يذق فيه جفنها طعم الكرى. وما كان اعظم دهشتها عند ما وجدت عليه ورقةً منطوية على هذه الابيات:

عندما سطِّرت من انتى يدِ فوق قبرٍ فيهِ امسى مرقدي
ذلك القول « وداعٌ للغد » قد وعدتِ ابنكِ اشهى موعدِ
ان تروريهِ بلا ادنى ضجر

أن تجيئي كلّ يومٍ وعلى قبرهِ تُبقين ذكرًا للولا
لم يكن وعدك فينا حصلا ان تجيئي الفجر يا امي ولا
ان تقضّي الليل طرًّا بالسهرْ

لِمَ عن عينيك تُقصين الكرى وعن الجسم الهناء الاكبرا
شدّدي عزمك من دون مرا واريحي بالرقاد البصرا
واحرصي فالآن اوقات الحذر

آهِ لو اضنتكِ اثقال الكنودْ ودها سهمُ الردى هذا الوجودْ
مَن ابا امًّا في الدنيا يعودْ ينتحي مدفني بين اللحودْ
ينثر الزهر عليهِ في السحرْ؟

فكادت الام المسكينة تفقد رشدها واخذت تتساءل عمّن يكون صاحب هذه الوقائع التي سبَّبت لها كل هذه الامور المدهشة. على انها تأثرت ممّا ذُكر في المقطع الاخير وانتبهت الى انهُ ينبغي لها ان تحافظ على حياتها حبًّا بولدها. فامتثلت لما أُشير عليها بهِ وجرت بمقتضاهُ وما لبثت ان تجدَّدت قواها الطبيعيَّة ممّا افاد عواطفها الصبر واقظ خامل افكارها من الذهول الذي كان مستحوذًا عليها

ومن هذا الحين استعاضت لوقت زيارتها للضريح الصباح بالمساء عند مغيب الشمس ومن ثمَّ ابتدأت الظواهر المنظورة تبشّر بتماثلها الى الصحة. على انَّهُ مع كل ذلك كانت عيونها لم تزل جامدة والدمع لم يكن بعد قد جرى منها مبردًا نيران الحزن التي تلتهب في احشائها. فذات يوم عند ما زارت اللحد وجدت بين الازهار اليابسة المغطّى بها ورقةً ثالثة فيها ما يأتي :

هذه الازهار من فوق الضريحْ قد اضاعت ماءها وهو صريحْ
فندت مثلك باليبس المُليحْ فاسقي فوقها الجفن القريحْ
ثمَّ روّيها بتحنان البشرْ

عندئذٍ تألّمت نفس الوالدة المسكينة وثارت في صدرها نيران حامية من الحزن المبرّح فصرخت قائلةً: «ايها الاله الرحيم انت القادر على كلّ شيء فساعدني على إتيان هذا الامر انك السميع البصير». قالت هذا وفاض غزيرًا من مآقيها سيلُ الدموع الناضب منذ مدّةٍ طويلة. واستمرت تبكي بكاءً مرًّا ساعات طوالًا ولمّا نهضت كانت الحمى قد غادرتها وغادرها اشدّ اهوال الحزن ألا وهو عدم المقدرة على البكاء بهذا التيّار من الدموع الذي اجرتهُ على ضريح ابنها.

ثمّ اخذت بعد ذلك تعود اليها بهجتها ورونقها وصارت قدمُها في السير اثبت وعند ما كان احد من الناس يحيّيها كانت تردّ عليهِ بابتسام. وصارت تختلط مع الناس في الحادثات وفي الوقت نفسهِ تعوّدت ان تنظر الاولاد وهم يلعبون فتقبّل الذين هيئتهم شديدة الشبه بغضون ولدهـا ألفرد. وفي الختام ان الدهر وهو خير طبيب للاحزان انهى ضماد ذلك الجرح الذي ظُنّ انهُ لا يشفى للابد

بعد مضيّ هـذه الحادثة بسنة تقريبًا بينما كان ميلقوا جالسًا الى جذع سنديانة القديس لويس المشهورة وهو يراجع بصوتٍ منخفض مأساةً كان يعدّها للمرسح الفرنسوي منقحًا ومهذّبًا فيها بعض التعبـيرات طرق اذنهُ وقعُ اقدام رجال آتين لزيارة الشجرة المقدسة. فنهض في الحال وخبّأ دفترهُ وسعى طالبًا الابتعـاد. واذا بشاب من الضباط بالكساء الحربي تقدم بسرعة نحوهُ وناداهُ باسمهِ بعد ان حدّق اليهِ نظرهُ. فالتفت ميلقوا وتفرّس فيهِ ايضًا فعرفهُ صاحبًا لهُ قديمًا من زمان المدرسة فتراميا بين ذراعي بعضهما متبادلين كلمات المحبة والسرور. ثم قال الضابط:

«اني اريد ايها العزيز ان اعرّف اليك والدتي وصديقتها البارونة ب.. ارملة القائد المسكين م... الذي تحت لوائهِ كانت باكورة خدمتي في الجيش»

فاحمرّ وجه ميلقوا عند ذكر هذا الاسم. على ان البـارونة تقدّمت حالًا مميطةً النقاب عن محيّاها مظهرةً لهُ هيئة المرأة التي انتشلها من وهدة اليأس. غير انها اذ رأتهُ لا يزال مضطربًا قالت: سيدي يقطن على ما اظنّ هذه الناحية وربّما فونتاني ؟

— نعم سيدتي انها محل عزلتي

فما قالكت البارونة ان هتفت وقد ادارت وجههـا الى صديقتها وابنها: أنهُ

هو بعينهِ. ليس الَّا ناظم « محبة الوالدات » يقدر ان يجلب مثل هذه التعزية للنفوس المثقلة باعباء الحزن

فلبث ميلثوا مظهرًا العجب كأنهُ لا يفهم شيئًا مما يقال وطلب ان يكشف لهُ ستر هذا السرّ. فكان جواب البارونة أن قدَّمت لهُ الورقات الثلاث سائلةً أليست يدهُ التي سطَّرتها ؟. اجاب ميلثوا : « كيف يمكنك ايتها السيدة ان تنسبيها اليَّ حال كونهِ ما من دليل على ان هذا خطّي ؟ » قال الضابط :

انَّ تحقيق المسألة سهل ثم تقدم وتنــاول الدفتر الذي تحت إبط ميلثوا وشرع يقابل الكتابة من الجهتين وما لبث ان صرخ بسرور : « هذا خطٌّ واحد يا سيدتي البارونة فاهنئي اننا قد اهتدينا الى (الجاني) مخلّصك »

فاراد ميلثوا الدفاع عن نفسهِ ايضًا والإصرار على الانكار لكنَّهُ وجد نفسهُ بين ثلاثة اصدقاء يظهرون لهُ شديد محبتهم واحترامهم فأقرَّ بالحقيقــة . عندئذٍ اخذتهُ البارونة بيــدهِ وسارت بهِ الى الضريح حيث قطفت وردة من الوردات التي تظلّلهُ فقدَّمتها لهُ ثم كتبت على الحجر ما يأتي: « هنا ناظم (محبــة الوالدات) مخلّص حياة والدةٍ مسكينة من اليأس والقنوط . فالفخر للآداب وطوبى للذي يستعملها لخدمة الانسانيَّة والشهامة »

منبع النفط في بابا كوركور

لحضرة القس اذي ابرهيم صليبا الكلداني

في شمالي غربي كركوك على مسافة ساعة ونصف منبع يخرج منــهُ النفط وبقربهِ موضع مشهور يقال لهُ بابا كوركور . فكنتُ اسمع مرارًا ان ثمت نارًا وان كثيرًا من الاهالي يذهبون الى زيارتهِ ومعهم كل ادوات الطبخ فيضعون القدر على تلك النار فينضج الطعام فيأكلون . ومن خرافاتهم انَّهم يحثون التراب في تلك البقعة عاقدين في قلوبهم مرامًا ما . فاذا اشتعلت النار من تلقاء ذاتها في المكان المحثوّ زعموا ان المرام قد نيل والَّا فلا . فكنتُ منذ زمان مديد أُريد مشاهدة ذلك المكان الغريب ولم تسنح لي الفرصة في ٩ تشرين الاول قمنا باكرًا جدًّا قبل ان يتنفَّس الصبح قاصدين بابا كوركور للتفرّج

عليهِ ومعنا كرديَّان مسلَّحان لدلالتنا على الطَّريق ولوقايتنا فيهِ لأنَّهُ كان خطِرًا . وكان أحدهم تلوح عليهِ سِمات الوقاحة والجسارة. وامَّا الآخر فكان ذا اخلاق راضية وعواطف لينة. وكان الجوّ قد تغطَّى بجلباب من الغيوم فخفَّفت عنَّا لظى الحرّ غير انَّها أصبحت تتوعَّدنا بالغيث. وبعد مسيرة ساعة ونصف انتهينا الى منبع النفط. وموقعهُ في ذيل جُبيل قد خرقهُ لُهبٌ فيهِ مسيل ماء. فينحدر النفط ويختلط في الماء فيتلمَّع سوادًا. وللنفط ثمَّت ينابيع كثيرة بعضها على وجه الارض وهي قليلة وبعضها مبورة وهي كثيرة. ففي نحو كلّ يوم ينطلق عملةٌ فيستقون ما تجمَّع من النفط في أزقاق ويحملونهُ الى كركوك. وكان الاهالي قبل عشرين سنة يضعون النفط في سُرُج فيشعلونهُ للانارة لكنَّهُ كان يسوّد الجدران ويبعث برائحة كريهة. امَّا الان فاخذوا يصفُّونهُ ويعتاضون بهِ عن زيت البترول

وبينما كنت أُسرِّح الابصار في بدائع الخالق اتاني واحد من العملة وفي حضنهِ قليل من التراب مشيرًا اليَّ ان اذوقهُ. فاستغربت ذلك. فقال واحد من رفقاني ضاحكًا: هذا تراب بابا كوركور وهو حامض. وقد يؤخذ منهُ الى كركوك فيبتاعهُ الاولاد ويأكلونهُ. حتى انَّ البعض يعتاضونهُ في الطعام عن السمَّاق. فحينئذٍ ذقتُ التراب وكان شديد الحموضة. (وهوذا قد أرسلتُ منهُ الى إدارة المشرق ليُحلَّل فتعرَّف ماهيَّتهُ (١) ثم قال لي ذلك العامل: هذا مزار لا يخيّب من يقصدهُ من المرضى. وكثير منهم يأتون هنا فيدلكون اجسامهم بهذا التراب. ثم يذهبون ويغتسلون بعين ماء هناك فينالون الشفاء بشفاعة بابا كوركور

فبعد مرور ساعة ذهبنا ميمّمين بابا كوركور. وكانت الغيوم قد اخذت تمطرنا رذاذًا. فما عتمنا ان لاحت لنا من بعيد بقعة مسطَّحة من الارض كأنَّها قطعة من النار . فوقفت هنيهة من الزمان متفرّجًا متعجبًا. ثمَّ استأنفت المسير حتى انتهيت اليها. وكانت السماء لا تني ترشّ واللهيب لا يزداد الَّا اشتدادًا. فتزلَّفتُ الى النيران وجلست

---

١) قد حلَّل استاذ الكيميا هذا التراب في مكتبنا الطبي فوجد انَّهُ مسحوق زبل الطيور المعروف بالغوانو (guano) يدلُّ على ذلك الحامضُ الاوريك (acide urique) ورواسبهُ المتجمّدة الموجودة فيهِ. ويدخلهُ ايضًا بعض موادّ كبريتيَّة سريعة الالتهاب. ولعلَّ بانيهِ يخلطون فيهِ شيئًا من الحموضات (المشرق)

والشمسيَّة على رأسي متفرِّساً فيها مستبدعاً ذا الامر العجاب. واماً رفقاني فعقد كلّ واحد منهم في قلبهِ مراماً وجعل يحثو تراباً حيث لم تكن النار تشتعل بنيَّة ان تتضرَّم فاذا كانت تستعر كان الحاثي يعدُّ نفسهُ فائزاً بطلبـهِ. فالكردي اللَّيِّن العواطف كان مرامهُ الفرار من الحكومة. واماً الآخر الذي كان شرّيراً فطلبهُ كان ان يترأس على عشرين من الاشرار فيسير بهم الى السلب والنهب. فسبحان الله انَّ الاوَّل كلما كان يحثو التراب كانت النار تلتهب فكان يجذل. واماً الثاني فلم تلتهب النـار ابداً على يده. فمضِّ من ذلك (١

هذا وان العامَّة تحسب ذلك المكان مقدساً وتعدّ بابا كوركور من الاولياء: ففي موسم الربيع في كلّ اربعاء يألب اليهِ جمّ وافر لا يحصى من النـاس تيمُّناً بهِ ولاسيما الروافض من قرى تسعين وداقوق وبشير وغيرها وهم يُريقون ثمَّت دم الذبائح اكراماً لهُ ويطبخون اللحوم على تلك النيران ويأكلون ويقسمون ما فضل على الفقراء. ومن مزاعمهم ان بابا كوركور جاء في سالف الزمان ذلك الموضع ونصب فيهِ سرادقهُ. ولمّا اراد الطبخ لم يكن لهُ الى النار سبيل. فطفق يتضرَّع الى الله تعالى ولم يقم من صلاتهِ حتى اشتعلت النار ولم تزل تتلظَّى منذ ذاك الحين الى الساعة. هذا وانّ بابا كوركور ليس الّا بركاناً تنبعث منهُ النيران صيفاً وشتاء ليلاً ونهاراً. غير انَّ محلَّهُ بقعة من الارض لا جبل. وتراب تلك الارض شديد الحموضة

وبعد زيارة بابا كركور يذهبون يستحمُّون في عين ماء قريبـة اليهِ وهي كبريتيَّة مفيدة لازالة الامراض الجلديَّة. فان شفي احد المصابين بهذه الامراض باستحمامـهِ في تلك المياه تعدّ العامَّة ذلك من المعجزات ناسبةً اياهُ الى شفاعة بابا كوركور

---

١) التهاب هذا التراب يتأتى ممَّا فيهِ من الموادّ النفطيَّة التي تجري بقربهِ. واماً كون بعضهِ يلتهب وبعضهُ الآخر لا يستعر ضراماً فذلك ناتج عن اسباب طبيعيَّة شتَّى كطريقة حثو التراب او السوائل المنبثة من يدي حاثيهِ الى غير ذلك ممَّا لا يمكن الجزم بهِ الّا بالمشاهدة (المشرق)

العُقَد

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي

١ً (تعريفها ومرادفاتها) انَّ للعرب نوعاً من الحساب يكون باصابع اليدين يُقال لهُ: « العُقُود » او العُقَد او حساب اليد. وهو المسمَّى عند علماء الافرنج: Dactylonomie

٢ً (لُغويَّة لفظة العُقَد) قد ذكر النحويون لفظة العُقَد في كتبهم عند كلامهم عن تعريف اللفظ بقولهم: « فيُحترز باللفظ عن الدوالّ الاربع: الاشارة والكتابة والعُقَد والنُّصَب اذ كلّ منها مفيد وليس بلفظ ». غير ان اغلبهم لم يشرحوا معنى العُقَد هنا وإنْ شرحهُ غيرهم من الادباء في مظانّ هذه اللفظة. وقد قضينا العجب بوقته مما طالعناهُ في مجلة البيان (١: ٨٨ الخ) حينما سُئلت عن ضبط اللفظة ومعناهـا اذ خاضت في الكلام ولم تُجب عن السؤال الّا بعبارات لا تخلو من مغامز. ولا بُدَّ من ايراد شيء من نصّ هذه المجلة ليطَّلع القراء على ما هناك من العَسف والتعسُّف. قالت ما حرفهُ:

« امَّا ضبطهما (اي لفظي العُقَد والنُّصَب) فكل من سمعناهُ يرويهما من اهل المُصطلَح ينطق بهما بضمّ ففتح كما ذكرتم ولا وجه لهُ الّا ان يكونا جمع عُقدة ونُصبة بالضمّ فيهما. بل جاء في الكُتُب في مكان النصب « النصبة » مصرّحاً فيهِ بالتاء. وحينئذٍ فاقرب ما تُفسَّر بهِ العقدة في هذا الموضع انها اسمٌ لموضع العَقد أُخذت من عقدة الحبل ونحوهِ كما أُخذ الفعل مماً سيجيء وان لم يصرّح اللغويون باستعمالها في هذا المعنى. وامَّا النُّصبة فلم ترد في كُتُب اللغة الّا بمعنى السارية وهي العمود فلا تنطبق على المقصود الّا بتكلُّف. وقد سألنا بعض اكابر اهل العلم عن ضبط هذين اللفظين ومعناهما فلم يكن عندهم في ذلك غناء ولم يزيدوا على قولهم: « هذا امرٌ قد انتهى الينا على هذا الوجه وغابت عنَّا اصولهُ ». ولعلَّ الاشبه في ضبطهما ان يكونا بفتح فسكون على انهما مصدران بمنزلة الخطّ والاشارة. واما معناهما فالاظهر ان المراد بالنُّصَب اقامة ما يستدلّ بهِ من المنار والحدود واشباه ذلك مماً يجري في هذا السبيل. وامَّا العُقَد فلا شك انَّهُ الحساب بالاصابع بان يشار بعقدها الى العدد على جهة التواطؤ على هيئات معلومة وقد اضرب المصنّفون والشرَّاح عن بيان ذلك في كُتبهم كما سكت علماء اللغة باجمعهم عن الكلام فيهِ مع ورود كثيرٍ منهُ في مصنَّفات اهل الادب وبناء بعض المتداول من كلام العرب عليهِ وهو من العجب بمكان. ولقد تفقَّدنا كتب اللغة في هذا الموضع فلم نجد الّا قول صاحب القاموس « وَعقَد الحاسب حسَب » لم يزد عليهِ ولا تعرَّض الشارح لشيء فيهِ واغفل صاحب الصحاح وصاحب لسان العرب هذا المعنى من اصلهِ ». (الى هنا انتهى كلام البيان)

قلنا: امّا ضبط العُقَد فهو بضمّ فتح على انها جمع عُقدَة. جاء في حواشي الشيخ يس على التصريح ما نصّهُ: «قولهُ العقد بضمّ العين المهملة وفتح القاف جمع عُقدَة وهو حساب بالاصابع يستعملهُ التجّار» اه. قلتُ: وهذه العبارة ساقطة من نسخ الطبع لكنّها موجودة في نسخة قديمة صحيحة نُسخت في ايام مؤلفها وموجودة عند الامام اللغويّ الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي ببغداد. وفيها مخالفات كثيرة للمطبوعة

امّا النُّصب فهي بضمٍ وفتح ايضًا وهي جمع نُصبة وهي: «السارية المنصوبة لمعرفة علامة الطريق» (التـاج). وبهذا المعنى هي من الدوالّ الاربع وتنطبق على المقصود بدون ادنى تكلّف بخلاف ما صرّح بهِ البيان

امّا قولهُ: «وقد اضرب المصنّفون والشرّاح عن بيان ذلك في كتبهم». قلنا: ان العقد هي من الالفاظ الاصطلاحيّة وكثيرًا ما أعرض اللغويون عن ذكر المصطلحات فلا عجب إذن ان لم يذكروا معنى هذه اللفظة ايضًا. لكنّنا رأينا شرحها في كُتب أخرى في معالِها ومظانّها منها: كتاب كشف الظنون. قد قال في كلامهِ عن انواع الحساب ما يأتي:

«ومنها علم حساب العُقود اي عقود الاصابع. وقد وضعوا كلًّا منها بازاء أعداد مخصوصة ثمّ رتّبوا لاوضاع الاصابع آحادًا وعشراتٍ ومئاتٍ والوفًا ووضعوا قواعد يتعرّف بها حساب الالوف فما فوقها. وهذا عظيم النفع للتجّار سيّما عند استعجام كل من المتبايعَين لسانَ الآخر وعند فقد آلات الكتابة. والعصمة عن الخطإ في هذا العلم اكثر من حساب الهواء (calcul mental) وكان هذا العلم يستعملهُ الصحابة (رضه) كما وقع في الحديث في كيفيّة وضع اليد على الفخذ في التشهُّد «انهُ عقد خمسًا وخمسين» يعني ان النبي صلعم عقد اصابع اليد غير السبابة والابهام وحلّق الابهام معها. وهذا الشكل في العلم المذكور دالّ على العـدد المرقوم. فالراوي ذكر المدلول واراد الدالّ. وهذا دليل على شيوع هذا العلم عندهم. وفي هذا العلم ارجوزة لابن الحرب اورد فيها مقدار الحاجة ورسالة لشرف الدين اليزدي اورد فيها قدر الكفاية» اه

قلتُ: انّ التجار عندنا يستعملون الى يومنا هذا الحساب بالاصابع عند بيع او شراء شيء ثمين او مهمّ بعدده. وذلك انهُ اذا وقعت المساومة بين البـائع والمشتري وضع المشتري يدهُ في يد البائع ثم يجعلان فوق يديهما ساترًا كمنديل ومحرمة ثم يشير المشتري

الى البائع بعقد الاصابع فاذا لم يعجبهُ الثمن قال: لا . واذا قال لهُ : بعتُك . فلا يعلم الحاضرون كم مقدار الثمن . ولكن غاية العدد بالعَقد ان ينتهي الى تسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة آلاف فقط . هذا الحساب مستعمل ايضاً في زماننا الحاضر في البلاد الحجازيّة والهنديّة (راجع كتاب الشرح الجلي ص ٨١ و ٨٢)

ومن المؤلفات التي صرّحت بهذا الحساب مطولًا كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصليّ للشيخ احمد البربير وقد طُبع في بيروت بالمطبعة الادبيّة سنة ١٣٠٢ هـ والمادة مذكورة في الصفحة ٨٥ وما يليها وهو كلام ضافي الذيل لو اورده البيان برمّتهِ لكفاهُ مؤونة التنقيب والتعريب و يؤخذ من كلامهِ ان معنى العُقدَة من قولهِ: « او سبعة (اي انهم اذا ارادوا سبعة) طووا العقدة السفلى من البنصر . . . . » هو كلّ منفصل من مفاصل الاصابع وعظامها . وقد اشار ايضاً الى هذا المعنى جمهور اللغويين في شرح لفظة الانملة اذ قالوا: « الانملة من الاصابع العُقدة »

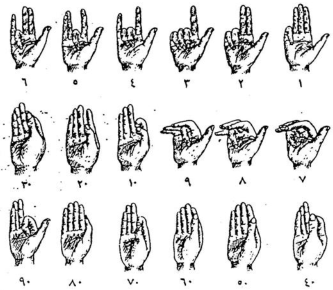
ومن الكتب التي اوضحت شرح هذه المادَّة خزانة الادب . قال صاحبها في الصفحة ١٤٧ من الجزء الثالث ما نصّهُ: « اعلم ان العُقود او العَقد نوع من الحساب يكون باصابع اليدين يقال لهُ : « حساب اليد ». وقد ورد منهُ في الحديث: « وعقدَ عَقدَ تسعين » وقد ألّفوا فيهِ كُتباً واراجيز منها ارجوزة ابي الحسن عليّ الشهير بابن المغربي . وقد شرحها عبد القادر ابن عليّ بن شعبان العوفي ومنها في عُقد الثلاثين:

وأضممها عند الثلاثين ترى   كقابض الابرة من فوق الثرى

قال شارحها: « اشار الى ان الثلاثين تحصل بوضع ابهامك الى طرف السبّابة اي جمع طرفيهما كقابض الابرة » اه (اطلب صورتها في الصفحة التالية كما رسمها البيان)

قلتُ: امّا هذه الكتب وهذه الاراجيز التي وضعت لهذا الحساب فانها لا شكّ مخفية عند هذا وذاك من محبّي العلم والحرصاء على مستودعاتهِ ولذلك أصبحت أعزّ من الغراب الاعصم . ولمّا رأى صاحب الفضل والفضيلة الامام المورّع والعلامة المتتبّع الذي لم يرث العلم كلالةً بل اجتهاداً وسُلالةً الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي ما تبذلهُ مجلة المشرق من السعي وراء الحصول على مثل هذه الآثار العربيّة لنشرها من عالم الانحلال والاضمحلال الى عالم التأثل والرجوع الى احسن الاحوال دفع اليَّ قصيدةً في هذا المعنى من نظم الشيخ الامام شمس الدين محمّد بن احمد الموصليّ

الخنبلي . ووعَز اليَّ ان أفسّرها بعبارة وجيزة جليّة تعميماً للفائدة. فحقّقت مُناه ولبّيت دعواه غير انهُ يحسن بي قبل ذكر هذه المنظومة الغرّاء ان أبيّن تتمّة ما يتعلّق بهذا الباب من البحث فاقول:



صورة العُقَد اي الحساب باصابع اليد

ومما يندرج تحت مطاوي هذا الموضوع (المُخارجة). وقد افرغ البيان كنانة جهده لشرح هذه اللفظة فرجع بخفّي حنين وان ظنّ في نفسه انهُ جاء بفصل الخطاب وحق ان يُقال بعد كلامهِ: قطعت جَهيزة قول كل خطيب. وقد افتتح كلامهُ في هذا الصدد بما يلحمهُ بالتفاصيل التي اوردناها بحرفها فقال: « على انهم كانوا يستعملون فنونًا من الحساب يبنونها على عقد الاصابع اشهرها ما يُعرف عندهم بالمُخارجة. وهذه ايضًا لم ينقلوا في تفسيرها ما فيه غناء » اه. ثم سرد نصوص اللغويين الائمّة وبيّن انها قاصرة عن تأدية المعنى المطلوب. وبعد ذلك تطرّق الى تطبيب حلّ المعضلة بمسك الختام فقال: « لكن جاء في هامش تاج العروس بازاء ذكر المُخارجة ما نصّهُ: قد ذكر عاصم كيفيّة

الخارجة فمن اراد معرفتها فليرجع الى الاوقيانوس» ثم تنفَّس الصعداء، وقال: « اه والحمد لله. وهذا تعريب عبارة عاصم مع بعض تصرُّف وايضاح وتصحيح ما فرط فيهِ من السهو قال: « الخارجة المساهمة بالاصابع ومثلها المشاهدة وذلك ان العرب الاوَّلين لم يكونوا يعرفون الكتابة فكانوا اذا ارادوا قسمة شيء بينهم قسموهُ بحساب الاصابع وكذلك كانوا يفعلون في الضرب » اه

قلنا: كنَّا نودُّ ان يورد البيان تعريب نصّ الاوقيانوس دون زيادة ولا نقصان وبدون « بعض تصرُّف وايضاح وتصحيح ما فرط فيهِ من السهو » لانَّ ما خُيّل اليهِ أنهُ كذلك أوقع الابهام والايهام. واخطأ في تحصيل المرام. لمنى الخارجة التي يدور عليها الكلام ولذلك جئتُ بما يرفع اللثام. عن محيَّا اللّبس والشبهة في الافهام. موردًا ما اخذتهُ عن الامام النطاسي. الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي. وعن غيرهِ من الائمة الاعلام. المشهورين في دار السلام (ستأتي البقيَّة)

فوائد لغوية

لحضرة الامير شكيب ارسلان احد اعضاء الجمعية الاسيوية

قال لنا الفاضل الذي اجبناهُ على اسئلتهِ الواردة في العدد الثالث والعشرين من هذه المجلة: قد فهمنا كلامك في « النوادي » وانها ممَّا ورد في اقوال المتقدّمين والمتأخرين ولم يخلُ منهُ كلام الجاهليين فضلًا عن كون القياس يؤيد هذا الجمع. امَّا « استأسر » فلم تورد لنا عليها سوى شاهد ابن الاثير صاحب التاريخ وابن الاثير هذا مولَّد ويجوز ان يسقط فيما سقط فيهِ غيرهُ مهما كان من علوّ طبقتهِ ورفعة قدرهِ فهل يا ترى اذا ذهب قوم الى ان « استأسر » الواردة في حديث المطرّزي هي تحريف يمكنك ان تأتينا بشاهد ينفي عنها هذه الشبهة ويؤكد ان الحديث مرويٌّ بلفظهِ ولا دخل فيهِ ؟

(قلتُ) اذا لم يقنعك الامام المطرّزي بروايتهِ وابن الاثير في درايتهِ جئتك بابي الطيب المتنبيّ الذي كان فوق طبقتهِ في الشعر اماماً بل امَّةً وحدهُ في علم اللغة وذلك حيث لا يحتمل وقوع التحريف قال:

تقتنص الخيلَ خيلهُ قنصَ الوحشِ ويستأسرُ الخميسَ الرعيلُ

وقال في محلّ آخر :

يستأسرُ البطلَ الكميَّ بنظرةٍ ويحول بين فــؤادهِ وعزائهِ

قال صاحبنا ما بعد هــذا من ممتنع والله انني لأخجل ان ارتاب في لغة المتنبيّ واتهم في العربيّة من سألهُ يوماً ابو عليّ الفارسيّ صاحب الايضاح والتكملة : « كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى ؟ فقـال : في الحال حَجْلَى وظربى . قال الشيخ ابو علي : فطالعتُ كتب اللغة ثلاث ليالٍ على ان أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم اجد . قال ابن خلّكان : وحسبك من يقول في حقهِ ابو علي هذه المقالة . وكان المتنبيّ من المكثرين من نقل اللغة المُطّلعين على غريبها وحوشيّها ولا يُسأل عن شيء . الّا واستشهد فيهِ بكلام العرب . فحاشا للمتنبيّ ان يكون قد استعمل لفظة « استأسر » بمعنى اسر متابعة او على غير بيّنة

(قلتُ) وقد حدّثني من أثق بهِ انهُ رأى هذه اللفظة بهــذا المعنى في ديوان البحتريّ ايضاً . امّا احتمال تحريفها في رواية الحديث لاسيّما وانهم اجروا رواية الاحاديث بالمعنى احياناً فهــذا بعيدٌ جدًّا اوّلًا لكون استعمال هؤلاء الفحول الذين هم اساطين العربيّة لهذه اللفظة بمعناها هذا دليلًا على كونها هكذا وردت في الحديث المذكور . ثانياً لكون رواية الحديث بالمعنى انما تقع احياناً اذا كان المقصود استنبـاط حكم شرعيّ او استخراج نكتة فقهيّــة . فامّا ان يكون المقام مقام لغةٍ او نحوٍ او صرفٍ ويُروى الحديث بمعناهُ فلا اذ يفوت بذلك محلّ الاستشهاد . ثالثاً قد اجازوا رواية الحديث بالمعنى لكن ليس لكلّ الناس انما حصروها في طبقتين هما الصحابة والتابعون رضوان الله على الجميع فالصحابة كأبي بكر وعُمر وعليّ واصحاب هــذه المرتبة والتابعون كالاوزاعي وسعيد بن المسيب المخزوميّ وسعيد بن جُبير الاسديّ واشباههم وذلك لان مثــل هؤلاء كيفَ روى الكلامَ فكلامهُ حجّة وهو ينزّل ما يقولهُ بمنزلة ما يرويهِ

(قال) امّا برهانك على لفظة « احتمى » بمعنى امتنع باستعمال ابن الاثير لهــا وورودها في شعر ابن هانئ فابن الاثير كما قدّمنــا وابن هانئ وان لقّبوهُ بمتنبيّ الغرب يجوز ان يُدخل عليهِ وان يتنــاول من لغة العامّة . فتحبّ ان تأتي لنا بشاهد اعلى من كلامهما

(قلتُ) اذا كان ابن هانئ متنبيّ الغرب بعد متنبيّ الشرق اصبح لا يميّز بين

العامّي والفصيح ولا يفرق بين الهجين والصريح فمن ذا الذي يميّز بعدهما ؟ أما وانّهُ عندنا شاهد اعلى. ما تقول في ابن دريد ؟ قال: هذا علَم اللغة المفرد والقائم مقام الخليل بن احمد والذي يوم موتهِ قيل: مات علم اللغة. (قلتُ): فهو الذي يقول في مقصورتهِ الشهيرة:

من ظلّم الناس تحاموا ظلمهُ وعزَّ عنهم جانبـاهُ واحتمى
وهم لمن لان لهم جانبهُ ألذعُ من حيّات أنباث السّفا

قلت لهُ: بديهيٌّ ان « احتمى » هنا لا يتضمن معنى الامتناع عن الطعام. قال: فهل لك ان تريني النص ؟ فاريتهُ اياهُ فنظر في المتن والشرح وقال: لم يبقَ من شبهة في ان ابن هانئ وابن الاثير وغيرهما لم يستعملوا هذا الفعل بهذا المعنى الّا وهم على ثقة من معناهُ

(قال) ذكرت لنا انّ « بارح » جاءت بمعنى « برح » واوردتَ شاهدًا من شعر اعرابيّ رواهُ صاحب العقد الفريد وقيل انّ الامام عمر رضي الله عنهُ نطق بها فلماذا لم ترد هذه اللفظة في مطوّلات اللغة مثل لسان العرب وغيره ؟

(قلتُ) امّا كون عدم ورود اللفظة في بعض متون اللغة مانعًا من التسليم بصحّتها مع قيام الدليل على ذلك من كلام العرب فممّا لا نسلّم به. لقد وردت الفاظ كثيرة في اشعار العرب وكلام الجاهليين واقوال الصحابة كنهج البلاغة مثلًا وهي لا توجد في تلك الكتب. وقالوا لا يحيط باللسان العرب الّا نبيّ. وممّا يؤيد عدم الاحاطة ورود لفظة في هذا المتن وهي غير واردة في غيرهِ بل ورود كلمة في محلّ وهي اذا فتّشت عنها في مادّتها من نفس الكتاب لم تجدها وجلّ من لا يسهو ولا يعزب عنهُ شيء. فاذا قلنا انّ « بارح » مثلًا ممنوعة لكوننا لم نجدها في القاموس وجاءت في شعر جاهليّ ورواها من هو اوثق من الفيروزابادي لزمنا ان نرجع عن قولنا حالًا خصوصًا وقد تبيّن لك ان كلًّا منهم جاء بشيء لم يجئ بهِ الآخر بل انّ اصحاب المختصرات قد ذكروا الفاظًا لم ترد في المطوّلات وكلّهُ يدلّ على الفوت والسهو بحسب البشريّة ويوجب عدم الاقتناع بهذه النصوص حجّة بالغة لاسيما عندما تكون بازاء الشواهد الصريحة

على انّهُ من قال لك ان « بارح » لم ترد في لسان العرب ؟ نعم انها لم ترد في مادّة (برح) لكنّها وردت في مادّة (زيل) فانهُ يقول: « زايلهُ مزايلةً وزيالًا بارحهُ » ويقول

في مادَّة (حفر): « فكانوا لا يبارحون من اشتراها » فكيف يقال بعد هذا انها لم ترد في المتون لا ريب ان الاستقراء يؤثمنا في كثير من الظنون

(قال) قلتَ لا يخطئ من يقول « سعى في نوال الامتياز الفلاني » واستشهدتَ بيت الحماسة الذي يقول فيه « ربيعي الذي ارجو نوال وصالك » فالنوال لا يفيد معنى الاخذ لكن يفيد معنى الاعطاء. كما ورد في كتب اللغة نلتهُ انولهُ نولًا ونوالًا اي اعطيتهُ ولعلَّ هذا هو مقصود الشاعر ؟. (قلتُ) فما المانع ان يكون مقصود الكاتب ايضاً في قوله « سعى في نوال الامتياز » ؟ ولماذا يُعدّ هذا الاستعمال غلطاً ويُشدَّد فيه النكير ولا موجب لهذا اصلاً ؟ وكما يجوز ان يسعى الانسان في نيل شيء يصح ان يقال انهُ سعى في اعطاء الآخرين اياهُ اذ المرجع واحد وليس هذا من التخريجات البعيدة والتأويل المتكلَّفة لنعدَّهُ في حكم الغلط

(قال) فاحبُّ ان تنشر ما دار بيننا ايضاً هذه المرة لا تجهيلًا لاحد ولا تعريضاً بمنتقد ولكن حرصاً على فوائد اللغة ونفاسةً بمقام كبار الكتَّاب والفصحاء ان يظنّ كونهم لم يعلموا ماذا قالوا وانما قد ظهرت فرطاتهم لتأخري هذا العصر

الصاعقة والقضيب الواقي منها

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

رغب الينا بعض القرّاء ان نكتب لهم نبذةً في الصاعقة وطريقة الوقاية منها. فلبَّينا الى دعائهم بطيب الخاطر لاسيما وان فصل الشتاء وحدوث الصواعق في هذه الاشهر من انسب الدواعي للبحث عن هذا الامر

١ تعريف الكهرباء الجوّيَّة

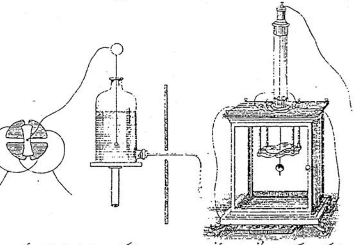


قد ثبت بالاختبار ان الكهرباء منتشرة في الجوّ وذلك ليس فقط في وقت الانواء والظواهر الجوّيَّة بل في كلّ فصول السنة. ولبيان الامر آلات تدعى دليل الكهرباء او إلكتروسكوب (électroscope) . وان اردت ان تختبر الامر فخذ اسطوانة معدنيَّةً محدَّدة في طرفها الاعلى منتهيةً في طرفها الاسفل بورقتين رقيقتين من الذهب المطرَّق. ثم علّق الاسطوانة المذكورة عموديًّا

الشكل ١ إلكتروسكوب

بحيث لا تمسّ الارض على قاعدة لا تؤثر فيها الكهرباء. فترى للحال ورقتي الذهب تنفصلان عن بعضهما (انظر الشكل ١) وما لانفصالها سبب آخر غير الكهرباء الجويّة العاملة في الاسطوانة المعدنيّة والمنتشرة منها اليهما. فيتقرّر بذلك ان الكهرباء منبثّة في الجوّ يتكوَّن منها موجات كهربائيّة تبلغ الى طبقات الهواء العليا. وان بحثنا عن نوعيّة هذه الكهرباء وجدنا انّها من النوع المعروف بالموجب (électricité positive)

فاذا تقرّر وجود الكهرباء في الجوّ لا بُدَّ من معرفة شدَّتها في نقطة معلومة منهُ اي معرفة ما لكرَةٍ صغيرة معدنيّة من القوّة الكهربائيّة لو أُفردت في هـذه النقطة. ولذلك ترى في المراصد الفلكيّة مقاييس يُستدلّ بها على شدّة الكهرباء فضلًا عن مقاييس الحرارة وضغط الهواء والرطوبة. وهـذه المقاييس عبارة عن قوس مجزَّأة تدور عليها ابرة راقمة (enregistreur) غاية في الضبط تدعى إلكترومتر اي مقاييس الكهرباء. واشهرها مقياس تُمسون الذي حسَّنهُ برَنلي يُدعى مقياس الأرباع (électromètre à quadrants) ولا حاجة الى وصف تركيب هذا المقياس (انظر الشكلين ٢ و ٣). ومن خواصهِ انَّ ابرتهُ تدور بحيث يحصل بينهـا وبين النقطة الجويّة الجاري عنها البحث موازنة كهربائيّة بواسطة خيط قابل للكهرباء مع كـميّة من الماء تجري جريًا



الشكل ٢ . إلكترومتر تُمسون وبرَنلي

الشكل ٣ . بيان ادواتهِ الجوهريّة

خفيفاً ويجوز ابدال الماء بمجرى من الغازات الحامية . والماء او الغاز المذكوران يقومان مقام الطرف المسنَّن او الاسطوانة المحدَّدة السابق ذكرها

وفي معرفة الكهرباء الجوّيّة فوائد ليس فقط للوقوف على الآثار الجوّيّة الحادثة في ارضنا بل ايضاً لتحسين الزراعة . لان الكهرباء تمكّن الازوت من الاختلاط بالمواد الآليّة دون تحليل كيموي

وهنا بحثان آخران يتعلّقان بوجود الكهربائيّة الموجبة المتداومة في الجوّ . ترى اين مركز هذه الكهرباء وما اصلها ؟ فجوابنا على الاول انَّ مركزها الخصوصيّ في اعالي الجوّ حيث تتكوّن غيوم غاية في الرقة والعلوّ تدعى الغيوم العلويّة او الجلديّة (cirrus). وهذه الغيوم ربَّما خفيت عن العيان لارتفاعها وخفّتها وهي تتركّب من دقائق الجليد . امَّا السؤال الثاني فنجيب عنهُ ان آراء العلماء متضاربة في تعريف اصل هذه الكهرباء وسبب كونها موجبةً لا سلبيَّة . فالبعض ينسبون ذلك الى احتكاك الابخرة المنبثة في الجوّ والبعض يعزون الامر الى مجاري الكهرباء الثانويَّة الناتجة عن دوران الكرة الارضيَّة ومنهم من ينسبها الى الاشعَّة الواقعة ما وراء الشعاع البنفسجي في الطيف الشمسيّ ومن خواصّ هذه الاشعَّة توليد الكهرباء الموجبة ونفي الكهرباء السلبيَّة . والله اعلم

٢ الانواء والزوابع

ان صعُب تعيين العلل المولّدة للكهرباء في صفاء الجوّ وصحوه فليس الامر كذلك في بيان اسباب الكهرباء في الانواء الشديدة . وذلك انَّ الماء الذي يحيط بالارض ربَّما تبخّر وبتبخُّرهِ يتكوَّن الغيم . والغيم المذكور لا يلبث ان تؤثر فيهِ طبقات الجوّ العليا المتكهربة فللحال ترى القسم الاعلى يتكهرب بالكهرباء السلبيَّة والقسم الاسفل بالكهرباء الموجبة . واذا مسَّ هذا القسم الاسفل جبلًا ما او اتَّصل بالارض بانهمار مطرهِ سالت كل كهربائيَّتهِ الموجبة فلا يبقى فيهِ غير الكهربائيَّة السلبيَّة كما يثبت ذلك الطبيعيُّون وفقًا لمبدإ النفوذ والتأثير

ولكنَّهُ من المقرَّر ايضاً انَّ السحابة المتكهربة سلبيًّا تستطيع ان تعمل في سحابة اخرى مجاورة لها فتبدل كهربائيَّتها السلبيَّة بكهرباء موجبة . فينتج من ذلك في الجوّ سُحُب متضادَّة التكهرُب . وهذه السحب المتباينة تميل الى الانضمام والاجتماع فاذا اختلطت تطايرت منها الشرر وذلك هو البرق بعينهِ . ولعلَّ هذه الشرر تتعدَّد وتبرق في

وقت واحد فينتشر نورها في الافق على مسافة طويلة باشكال وخطوط شتى. امَّا الرعد فهو زفير هذه الشرار الملتهبة في الجوّ. وما يزيد في صوت الرعد هزيم الصدى الحاصل بين الغيوم او دويّ في الجبال والوديان (١ فيسمع لهذا الزفير دويٌّ يمتدُّ وينتشر برهةً في الجوّ. واذا اتَّقدت الشرارة بين سحابةٍ وسطح ارضنا لحصول التجاذب بين كهربائيَّتيهما المتباينتين قيل لذلك صاعقة

٣ مفاعيل الصاعقة

اعلم انَّ الصاعقة اذا ما انقضَّت على الارض احدثت فيها احداثًا شتى تكون غاية في الغرابة. فدونك بعض مفاعيلها:

١ مفاعيل ناريَّة — يمكن الصاعقة ان تضرم النار في البيوت فتذهب الابنية فريستها واذا أصابت مخازن البارود انفجر البارود كما حدث في جزيرة رودس. وتحلُّ بالمعادن وبالاسلاك المعدنيَّة والجنازير فتذيبها وتسوّد اطرافها المسنَّنة المطليَّة بالذهب

٢ مفاعيل ميكانيكيَّة — متى اصابت الصاعقة معدنًا غليظًا جيّد القيادة للكهرباء تبعتهُ منقادةً دون ان تسبّب شيئًا من الضرر ولكن اذا بلغت الى طرف هذا المعدن فاصابت جرمًا سيّئ القيادة للمجرى الكهربائي نتج من فعلها الميكانيكي اضرارٌ لا تُحصى فانها تخرق الجدران وتدكُّ الابنية دكًّا وتحطّم الاخشاب وتحرقها وربَّما نقلت اجرامًا غاية في الثقل الى مسافات بعيدة

٣ مفاعيل كيموِيَّة — كما ان الطبيعيين في مُختبراتهم يتَّخذون الكهرباء كعامل لتركيب الاجسام وتحليلها هكذا ترى لكهرباء الجوّ مفاعيل كيموِيَّة شديدة بانقضاض الصاعقة. فمثال ذلك انَّك ترى الحامض الازوتيك يتكوَّن مع الامطار المنهلة في وقت الانواء والزوابع

٤ مفاعيل مغناطيسيَّة — انَّ اللاحين لاحظوا في وقت انقضاض الصاعقة على سفنهم تبلبلًا تامًّا في وجهة ابرة المغناطيس. وكثيرًا ما يتمغنط الفولاذ قوَّة شديدة عند حدوث الصاعقة

٥ مفاعيل نوريَّة — اذا حدثت الانواء ترى الاسنَّة والاطراف المحدَّدة الرؤوس تنبعث منها الانوار وتحدق ببعض الاجسام ضياءً خفيفة فمن ذلك انَّ سواري المراكب

١) أُنكر علينا استعمال الوديان كجمع لوادٍ مع انَّها وردت في التاج في مستدرك مادَّة « ودى »

يظهر عليها شهبٌ ناريَّة تدعى « نار القديس إلم » (le feu S^t Elme). ومن الحوادث الغريبة التي يجوز الحاقها بهذا الباب ان الصاعقة ربَّما ظهرت على شكل كُرة من النار تدور دوراناً بطيئاً على سطح الارض ثمَّ تنفجر الكُرَة انفجار القنابل الحربيَّة فتحطِّم كلَّ ما مسَّتهُ ولا يعود من ثمَّ يبدو لها اثر. وهذا الحادث الغريب لم يُحسن الطبيعيُّون حتى الآن وصفهُ وبيان اسبابهِ. بيد أنهُ قد توصَّل بعضهم الى ان يمثّلوا هذا الحادث في قاعات المُختبرات بان اجروا مجرى قويًّا من الكهرباء الى مزيج من بخار الماء والغاز فنجم عن ذلك كريٌّ ناريَّة كما تُرى في بعض الصواعق

٦ مفاعيل فزيولوجيَّة — اذا أصابت الصاعقة احدًا من البشر او الحيوانات اثَّرت فيه تأثيرًا بليغًا ولعلَّهُ يُصعق فيموت. ومن الاعراض المتواترة انقطاع بعض الشرايين وكسر بعض الاعضاء واحتقان الدم وحروق شتى وانواع الفالج. امَّا الموت فهو ناتج عن الاختناق وذلك لجمود حركة الدم عند شعور الاعصاب بهزّة الكهرباء. وهذه الاعراض لا تختلف البتَّة عن اعراض الموت التي تحدث في المعامل الكبرى عند مسيس بعض الآلات الكهربائيَّة الشديدة الفعل

٤ قضيب الصاعقة (١ والحاجز الواقي منها

قد ورد في تآليف علماء الطبيعة انَّ مخترع القضيب الواقي من الصاعقة انَّما هو الاميركيّ فرنكلين. أَجل انَّ هذا العلامة الشهير ارشد الجمهور الى الطريقة المُثلى لاتقاء عواقب الصاعقة لكن الناس قبلهُ كانوا اهتدوا الى وسائل عديدة من شأنها ان تدفع عنهم شيئًا ما هذه الجائحة. فمن ذلك ان البعض كانوا يأوون الى الاسراب تحت البيوت. ومنهم من كان يلتجئ الى مأوى تحت احواض الماء. وممَّا ذكر الدوق دي سان سيمون في ترجمة احوالهِ ومذاكراتهِ متهكّمًا انَّ المركيزة دي سنت هيريم (de S^t Herem) كانت تختفي وقت الانواء تحت تخوت ديوانها وتُجلس فوقها خدم بيتها. وجاء عن ڤولتير انَّهُ كان يخاف انقضاض الصاعقة خوفًا عظيمًا فاتَّخذ لهُ جرسًا من الزجاج كان يتستَّر بهِ

ومن الفكاهات المرويَّة في ترجمة سريانيَّة لكتاب أَلَّفهُ زوزيم المؤلف اليوناني في

١) اخترع صاحب الضياء لفظةً لقضيب الصاعقة فدعاها « الشاري » قال: « لانَّ الشاري هو الذي يقاتل في مقدَّم القوم وهذا يدافع عن البيت ». بيد انَّنا نتحاشى هذه اللفظة ريثما تصيب قبولاً لدى اهل الادب لاسيما وانَّ هذه الاستعارة غريبة في بابها

الكيميا ما تعريبهُ: « وكانت الصاعقة في عهد الاسكندر تسقط مرارًا عديدة في بعض البلاد فتتلف ما اصابتهُ من غلأت الارض وتهلك المواشي والناس حتى قلَّ عدد البشر. فلمَّا بلغ الامر مسامع الاسكندر تمحَّض من ذلك وبحث عن طريقة واقية من بلاء الصواعق فالهمهُ الله ان يصنع خلطًا من الذهب والفضَّة دعاهُ لذلك مزيجًا ἤλεκτρον او كهربا. وكان كلٌّ من يتَّخذ هذا المزيج ينجو من الصاعقة كالاسكندر. ومنذ ذاك الزمان اتَّخذ الاسكندر اصنافًا من النقود المسكوكة من الذهب والفضَّة وألقاها في الارض المصابة بضربات الصواعق ثم امر بمجراثة تلك الارض فلم تعد الصاعقة تمتحنها ببلاء ».

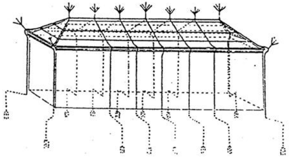
هذا وانَّ الله أرشد علماء زماننا الى طريقتين هما أصدق فعلًا لوقاية البشر من مزيج الاسكندر المزعوم اعني قضيب الصاعقة والحاجز الواقي منها

وتجهيز هذا القضيب مبنيٌّ على مبدإٍ مقرَّر في الطبيعيَّات وهو انَّ الاطراف المسنَّنة تنبعث منها الكهرباء فاذا اخذتَ سلكًا معدنيًّا يتَّصل احد طرفيهِ بالارض ويكون الآخر محدَّدًا نجا البناء من اذى الصاعقة. وذلك انَّ الغيم المجتاز فوق البناء يحلِّل الكهرباء المشتركة التي تخرج من القضيب فيدفع عنهُ الكهرباء المجانسة لكهربائيَّتهِ ويجتذب الكهرباء المباينة لها فاذا اجتمعتا بطل مفعول الكهربائيَّة الجوّيَّة. والدليل على ذلك انك ترى في ليالي الزوابع انوارًا خفيَّة تنبعث من اطراف قضبان الصاعقة الى الجوّ. وربَّما ازدادت هذه الأنوار التهابًا حتى تذيب رأس قضيب الصاعقة وتتلفهُ

وسيلان الكهرباء من هذه الاطراف المحدَّدة يكون عادةً متواصلًا خفيًّا. وفي بعض الاحيان تشتدُّ قوَّة الكهرباء حتى تقدح شررًا فتسقط عليها الصاعقة ولكن دون ان تُلحق ضررًا بالابنية لان الطرف المحدَّد يتَّصل بسلسلة معدنيَّة غير منفصمة فتنقاد الصاعقة الى هذه السلسلة وتتبعها الى ان تغور في الارض

ولعلَّ القارئ يسأل ما هو مدى وقاية قضيب الصاعقة؟ نقول انَّ تعيين المسافة المحميَّة بقضيب الصاعقة ليس بامرٍ سهل. وانَّما يتَّفق العلماء اجمالًا على انَّ قوَّتهُ الدافعة تبلغ ضعف ارتفاعهِ من كل جوانبهِ. ولا بدَّ لهذا القضيب ان يكون حسن التجهيز ولولا ذلك لأضرَّ عوضًا عن ان ينفع. وهو يُتَّخذ من الحديد الَّا طرفهُ الاعلى فانَّهُ يُجعل من البلاتين او النحاس المطلي بالذهب لئلا يصيبهُ صدأ. وينبغي لارباب البيوت ان يتفقَّدوهُ من وقت الى آخر لاسيَّما بعد الانواء الشديدة لئلا يكلَّ طرف

القضيب فتبطل قوّتهُ. امَّا الاسلاك التي توصل بين الارض والقضيب فانَّها تناط في اسفلهِ وتمتدّ من ثمَّ مجتازةً على جانب الدار منحدرة الى عمق الارض او منتهية الى حوض ماء. ولكي يكون مسّ هذا الطرف بالارض او الماء تامًّا يُجعل لهُ صفائح تنتشر فيها الكهرباء وتتلاشى. وهذا امرٌ حريٌّ بالاعتبار ولا يكفي لذلك بئر او صهريج. وممَّا يحسن استلفات النظر اليهِ انَّهُ يحتم على اهل البيت ألَّا يقتربوا من هذه الاسلاك في وقت الانواء والزوابع. كما انَّهُ لمن الامور الخطرة ان يلعب الاولاد حينئذٍ بالطيَّارات وخصوصاً اذا كان الهواء رطباً فان ذلك مجلبة للصاعقة



الشكل ٤ . الحاجز او القفص الواقي من الصاعقة

على انَّهُ قد شاع الآن في اوربَّة طريقة للاتقاء من الصاعقة تُعرف بطريقة ملسنس (Melsens) وهي مبنيَّة على ناموس توصَّل اليهِ فاراداي (Faraday) هذا منطوقهُ: اذا جُعل لبناء غلافٌ ناقل للكهرباء ومتَّصل بالارض حال الغلاف المذكور بين الكهربائيَّة الخارجة والكهربائيَّة الداخلة. وقد اجرى العلماء امتحاناً لبيان ذلك فرضعوا مقياس الالكترسكوب في علبةٍ نحاسيَّة بقرب آلة تجري فيها الكهرباء فلحظوا انَّ المقياس يبقى على حالتهِ ولا يتأثر من كهربائيَّة الآلة القريبة منهُ لوجودهِ في غلاف النحاس. ولا يقتضى للغلاف ان يكون متواصلًا بل يكفي ان يكون على صفة مشبَّك متَّسع الزرد او قفص متباعد الجُرَز. واذا اردتَ استعمالهُ لوقاية البيوت فجهّز لذلك اسلاكاً معدنيَّة ناقلة للكهرباء في أطراف البيوت وخطوطهِ الكبرى بحيث تكون الاسلاك متَّصلة ببعضها وتنتهي في اسفلها الى الارض. ثم اجعل فوق اعالي الدار

في الاماكن البارزة منهُ أسنّة صغرى محدَّدة لئلّا تتوفّر الكهرباء على المشبَّك المعدني (انظر الشكل ٤). وهذه الطريقة لوقاية البيوت اقوى عملًا وارخص ثمنًا من السابقة

• ضحايا الصاعقة

انَّ عدد المصعوقين يختلف على اختلاف البلاد. ومعدَّل المصابين بالصاعقة في فرنسة وحدها سنويًّا يتجاوز مئة شخص. والرجال يُصعقون اكثر من النساء الاولاد. والخطر في الارياف والقرى خمس مرَّات اعظم منهُ في المدن. واذا نالتك نوءٌ في طريقك فايَّاك ان تأوي الى الاشجار او الى ذرى الابنية الشاهقة. ولا تقترب من الآلات المعدنيَّة. امَّا البيوت والغُرَف فالخطر في وسط البيت اقلُّ منهُ في الزوايا او بجوار الشبابيك المفتوحة

واذا أصعقت السماء احدًا فلا تيأس من شفائهِ وطريقة معالجتهِ كمعالجة المُبتلين بالخناق. وعليهِ فيقتضي انفاذ الهواء في رئة المخنوق وجذب لسانهِ بانتظام وذلك على مدَّة طويلة. وقد لحظ الاطبَّاء انَّ كثيرين من المصابين بكهرباء الصاعقة او كهرباء المعامل الكبرى اذا أُحكمت معالجتهم عادوا الى الحياة ولو بعد برهة من الزمن. وللحكومة الفرنسويَّة قانون يقضي بمداواة المصعوقين مع بيان طريقة العلاج السابق

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث

في الزوبعة

بعد ان مضى يوم على سفر الباخرة كلفلند من مرفإ سان ميشل هبط الميزان فجأةً مع ان السماء كانت نقيَّة الاديم لا يشوبها شيءٌ من الغيوم وأخذ الرُبَّان يتمشَّى على ظهرها مهمهمًا ومدمدمًا. وبينا هو كذلك جاءهُ فاضل يريد سؤالهُ عن بعض الشؤون فقابلهُ بوجه كالح وكلمات قارصة فعاد فاضل خجلًا مستاء والتقى اذ ذاك بالملّاح الصغير الذي رآهُ يرسم اشارة الصليب في آخر الشنق الشمالي وكان ارلنديًّا فقصَّ عليهِ ما جرى لهُ مع الرُبَّان. فقال الملاح: اذا كان الربَّان كما تقول فلا بدَّ من ان يكون خائفًا من تغيُّر

يحدث في الجوّ ولعلّهُ لا يمضي زمن قصير دون أن تثور علينا زوبعة

قال فاضل: عجباً كيف ترعم بقرب ثوران زوبعة وأنت ترى الجوّ نقيّاً صافياً. ام تريد ان تستهزئ بي ؟

— لا علم لي بشيء من اسرار الغيب ولكني عرفت من طول مراقبتي لحركات الربّان أنهُ لا يتمشّى على ظهر السفينة وهو يدمدم ويتذمّر الّا متى كان يتوقع حركةً في الجوّ

امّا فاضل فذعر من هذا الجواب وسرى فيهِ الخوف الشديد لاسيّما لمّا تذكّر تلك الزوبعة الخفيفة التي ثارت في البحر المتوسّط يوم اقلعت بهِ باخرة المساجري الدعوة «كونغو» من مرفإ بيروت قاصدةً مرسيلية. غير انهُ كان كلما نظر الى الجوّ وصفائهِ يجتهد في ان يغالط ما انبأهُ بهِ الملاح وأخيرًا التفت الى الملاح قائلاً:

— هل سبقت لك مشاهدة الزوابع ؟

— لا ريب انهُ اذا حدثت اليوم زوبعة فلا تكون اول زوبعة اراها

— وهل مضى لك زمن طويل تعاني فيهِ مهنة الملاحة الشاقّة ؟

— مضى لي اربع سنوات اتسلّق فيها السواري وامشي على الحبال

— اربع سنوات فكم عمرك اذًا ؟

— عمري اربع عشرة سنة

— فاذًا بدأتَ تتعاطى مهنتك في سنّ العاشرة. ولكن كيف تركك ابواك بهذا السنّ ؟

وما كاد يقول هذه الالفاظ حتى حنى اللاّح رأسهُ وكادت تتناثر الدموع من عينيهِ

— يا لك ولدًا مسكيناً. فهل تيتّمت من زمن مديد ؟

— كان ابي صيّادًا على شواطئ البحر الكبير في بلاد كثيرة الصخور متوعّرة المسالك فسار يوماً في قاربهِ حاملاً شباكهُ ولمّا كان المساء (وهنا تحوّل صوت الولد الى زفير وشهيق) انتظرناهُ فلم يَعُد

— وكم كان عمرك وقتئذٍ ؟

— تسع سنوات. ولمّا استيقظت صباح اليوم التالي من رقادي وسألت والدتي عنهُ ضمّتني الى صدرها بحنوّ فائق وبكت فبكيتُ لبكائها وسألتها عن والدي فقالت: انهُ

تأخر عن ميعاده لاسباب لا تعرفها ولكنهُ لا بدَّ من رجوعهِ

وجاء المساء التالي وجلسنا الى الطعام ولم يكن قد أتى فقلتُ لها: «قد حان لابي ان يرجع فلماذا تأخر كل هذا التأخر»

فما قلتُ هذه الكلمات حتى حوَّلت وجهها ولم تجب بشيء. ففهمت حينئذٍ ماذا تقصد بالتمنُّع عن الجواب

— أما كانت والدتك تعتني بك وتسهر عليك؟

— آه ما احبَّ تذكار هذه الوالدة الحنون وما امرَّهُ لقلبي. اني رأيتها ذات يوم ترتجف مرتعدةً فقلت لها: ما بالك هل انت تعبانة؟ فاجابت بكلمات لم استطع سمعها ثم جسستُ يدها فاذا هي سخنة من الحمى الشديدة. فشعرت حينئذٍ بالخطر على حياتها فجعلتُ أجري في الحجرة كالمجنون. ولكن لم اكن قادرًا على عمل شيء. لاني كنت صغيرًا ولاسيما وان وفاة والدي خلَّفتنا في أقصى درجات الذلّ والفاقة. وعرفت اذ ذاك ان والدتي لم يكن عندها شيء من الخبز لتقوتنا بهِ وان الحزن والأسهار المديدة قد انهكت صحتها النحيفة وجرَّت اليها المرض

« وكان الى جانب منزلنا جيران من محبّي الخير فمدُّوا الينا يد المساعدة في هذه الظروف الحرجة. وكنت انا لا افارق أمي بل أقيم دائمًا الى جانبها اسليها واعزّيها ففي مساء بينما كان القمر مشرقًا نظرتْ اليَّ نظرةً ما زال تأثيرها عظيمًا في قلبي ثمَّ نهضتْ بمشقَّة واشارت الى صورة قديمة للبتول القديسة معلَّقة في الحائط وبعد ان لفظت هذه الكلمة الوحيدة قائلةً « يا مريم » سقطت على فراشها وقد اصفرَّ لونها فناديتها: «يا أمي يا امي » فما احارت جوابًا

ثم جاء الناس الى منزلنا واخذوا والدتي وانا لا أزال من ذاك الوقت ابكي تلك التي كنتُ أحبها جدًا. وقضت عليَّ الاحوال أن أغادر المنزل فحملتُ تلك الصورة التي استغاثت بها والدتي وما برحت أحافظ عليها

قال هذه الكلمات وأخرج من ملابسهِ المسوَّدة بالفحم ورقة بالية ترى عليها صورة السيدة من حولها الملائكة فقبَّلها بينما كانت الدموع تتساقط بغزارة من عينيهِ الزرقاوين

وكان فاضل قبالتهُ منحني الرأس وهو يتستَّر بقبعتهِ ويحاول دفع الحركة التي اهتزَّت لها نفسهُ. وكان قد شعر بمثل دبيب حنوٍ سرى في داخلهِ كما جرى لهُ ذلك لما

خاطبتهُ الراهبة ماري جانّ في مستشفى داقسون وهي واقفة عند فراشهِ ابّان مرضهِ
ثم انّ الملاح التفت اليهِ قائلًا بغاية البساطة : وأنت ايضًا أما تحب العذراء القديسة ؟
فحينئذٍ حوّل فاضل وجهـهُ حتى لا يرى الفتى ما تلألأ في عينيهِ من الدمع . ثمّ انهُ تباعد عنهُ بسرعة كما لو كان شاغل مهمّ يستدعيهِ . وهكذا ترك الملاّح متعجبًا من حركاتهِ

وما كاد يفارقهُ حتى هبّت الريح بغتةً من الشمال وهاج البحر وتعاظمت الامواج فأخذت الباخرة تتقلّب في اليمّ تصعد جبلًا وتهبط واديًا . امّا الربّان فبادر الى سكّان السفينـة وجعل يديرها محاذرًا من ان تلطم الامواج جنبها لانهُ كان عارفًا بان اخشابها قديمة لا تقوى على مقاومة الزوبعة

ولمّا كان المساء هدأت الريح بعض الهدو فاستبشر الربّان بالفرج غير انهُ لمّا تقدّم الليل زاد البحر اضطرابًا واخذ يقلب الباخرة كالكرة الصغيرة بين يدي اللاعب تارةً تعلو وتارةً تسفل . وكانت الامواج تتعالى على ظهرها كالجبال فما كان احد يجترئ على القيام هناك خوفًا من ان تسحبهُ الى البحر فتغرقهُ وكثيرًا ما كانت تقفز حول المراجل وتنفذ من ثمّ الى المدخنة بحيث خاف الربّان كثيرًا من ان يحدث انفجار غير منتظر

وكانت الريح شديدةً للغاية فكانت تدفع السفينة بقوة عظيمة حتى تعذّر على الربّان ادارتها وكانت آلتها ايضًا عاجزةً عن مقاومة وجهة الريح . وقد انضاف الى هول الزوبعة ومخاوفها قتامُ الجوّ وسقوط المطر سيولًا بين سيوف البرق واصوات الرعد

ثم ان ثورة الريح اشتدّت بغتةً فوق ما كانت وسُمع وقتئذٍ دويّ عظيم تلتهُ صدمة هائلة وكان ان أعلى الصاري انكسر وسقط على ظهر السفينة ثمّ تلاهُ الجزء الباقي منهُ فسقط جارًّا معهُ كثيرًا من العمد والحبال . وحينئذٍ صرخ الربان صرخةً عظيمة فما سمعها البحّارة حتى بادروا بالرغم عن شدّة الزوبعة والفؤوس في ايديهم . وكانت البـاخرة قد مالت الى جانب وكاد الماء يدخلها فبذل النوتية غاية الجهد دون مبالاة بما يتهدّدهم من الاخطار حتى القوا الصواري والعمد والحبال في البحر

امّا فاضل فانّهُ كان ينظر حائرًا مبهوتًا الى كل ما يجري وهو لا يعلم متى وكيف تنتهي الزوبعة . وكانت تجول في ذهنهِ افكار كثيرة مقلقة فكان تارةً يتخيّل ان السفينة ستغرق في تلك اللجج وتارةً تنتصب امام عينيهِ خيالات نسيب وبروسبر اولري ومريم

والدته وهي تدعو عليه وتلعنهُ. واحياناً يشاهد طيف الراهبة ماري جانّ التي عالجتهُ في مستشفى داڤسون او طيف النوتي ألريك الذي كان محافظاً على صورة السيدة التي اعطتهُ اياها والدتهُ. وكان يقول في نفسهِ: «ليتني حافظت على نقاوة الروح والبساطة وليتني لم أغادر لبنان ولا فارقت قريتي وليتني على الاقلّ سمعتُ تلك النصائح الحكيمة التي بذلتها لي الراهبة ماري جانّ عند ما كانت تداويني في داڤسون. ولكن ما العمل وكان الطمع في تحصيل الذهب قد اعمى بصيرتي وحملني على التجوُّل في الآفاق والخبط في بلاد الله الى ان تنتهي حياتي أخيرًا بالغرق المهول ويذهب جسدي فريسة المياه حيث تتقاذفهُ الامواج وتقلّبهُ على الصخور ولا يعود احد يسمع لي ذكرًا بل لا يجد أحد لقبري اثرًا لانهُ يدفن في الاوقيانوس الذي لا حدّ لهُ. فإذا ينفعني تحت هذا الكفن المائع ذاك الذهب الذي اكتسبتهُ بالمشقّات العظيمة والقلق البليغ؟»

وكان يجتهد ان يُبعد عنهُ هذه الافكار المزعجة ويُحدّث نفسهُ قائلًا: «ما انت ولدًا وما انت بسيطاً ساذجاً كما كنت عند سفرك الاول الى اميركة فكيف تترك المخاوف تستولي على ذهنك وتبلبل روحك وانت انت الذي عركك الزمان وعركتهُ وقلّبك وقلّبتهُ. أما انت المستر لاضف التاجر الشهير بحذقهِ ودهائهِ كيف تخاف زوبعة ستنقضي في بضع ساعات». ومع كل هذا لم يكن يتمالك نفسهُ عن الارتعاش لان قرقعة الصواري التي كانت الريح تكسرها كانت تحملهُ على الرجفة. وحينئذٍ تطلع في غرفتهِ الصغيرة فرأى شقًّا فألصق بهِ بصرهُ لكي يشاهد ما هو جارٍ دون ان يجسر على فتح الباب. وحينئذٍ لمح النوتي ألريك وبيدهِ فاس وكان المذكور يركض بشجاعة دون مبالاة بالخطر ويلقي واحدًا بعد واحد في المياه ما كان قد تكسّر من الصواري وبقي متعلقًا بجانب السفينة. وقبل الاقدام على هذا العمل الذي يقتضي بأسًا شديدًا رسم اشارة الصليب على وجههِ وأخرج صورة البتول من صدرهِ وقبّلها ولمّا اكمل مهمتهُ اقبلت موجة عظيمة فغمرت السفينة وغاب ألريك في وسطها. فعند هذا المشهد صاح فاضل من داخل صيحة الحزين وانتظر قلقاً: ولكن ذهبت الموجة وظهر ألريك من تحتها سالمًا لأنهُ كان متشبثًا بالخشب بقوة ثمَّ انهُ دون حياء بشريّ جثا بين النوتية وان كانوا جميعًا من البروتستان المتعصّبين وشكر العذراء التي انقذتهُ (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب تاريخ سوريّة

الجلّد الرابع وهو يتضمَّن اخبار سوريَّة منذ اوائل القرن الثالث الى تاريخ الهجرة

لمؤلفهِ السيد الجليل والعالم المفضال يوسف الياس الدبس مطران بيروت الماروني

طُبع في بيروت سنة ١٨٩٩ عدد صفحاتهِ ٥٩٥

لم تمرَّ السنة التامَّة على تقريظنا للمجلد الثالث من هذا الكتاب النفيس (المشرق ٢: ٣٣١) حتى انجز سيادة مؤلفهِ المؤرخ العلامة هذا المجلد الرابع بنحو عشرة اشهر. على اننا لم نستعظم فقط سرعة العمل بل وجدنا فيهِ من الفوائد التاريخيَّة وطلاوة الانشاء وحسن التقسيم ودقَّة النظر في كثير من المطالب العويصة ما لم نعتدهُ في تآليف عديدة انتشرت حديثًا في الاصقاع الشرقيَّة. ومن خواصّ هذا القسم الجديد انهُ يحتوي على اخبار الكراسي البطريركيَّة الاولى في المشرق وعلى تفاصيل المجامع الكبرى والمجامع الخاصَّة وتراجم كثيرين من اولياء الله ومشاهير الكتبة الكنسيّين مع لُمَع من تواريخ الرومان وملوك بوزنطية واخبار العرب ومآثرهم في سوريَّة والانحاء المجاورة لها ونُبَذ من شعراء العرب النصارى شرَّفنا سيادتهُ بتلخيصها من كتابنا المعنون شعراء النصرانيَّة الى غير ذلك ممَّا يطول ايراد ابوابهِ في هذه العجالة ونحضُّ جميع القرَّاء على مطالعتهِ واقتباس فوائدهِ من معينهِ الرائق صان الله صاحبهُ السيّد الهُمام ومتَّعنا زمنًا طويلًا بعلومهِ واعمالهِ

التجارة

بقلم عبد الله افندي رزق الله شارّ احد مأموري مية ولاية بيروت الجليلة

هي المقالة المستحسنة التي نشرها جناب الكاتب الاديب تباعًا في اعداد المشرق في اثناء السنة المنصرمة. فأحبَّ ان يجمعها في كرّاس واحد ليقرب منالها فتتوفَّر الفائدة من مطالعتها. وقد ألحقها بمقالة أخرى من قلمهِ في الحرب ومؤتمر السلم اثنى عليها جمهور القرَّاء يوم ادرجناها في مجلّتنا واستحسنتها روضة المعارف فنقلتها عن المشرق. فنشكر لصاحبها شكرًا طيّبًا ونتمنى لها رواجًا. وهي تطلب من مطبعتنا ومكاتب الثغر

خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول

في بيروت عن سنة ١٨٩٩ وهي السنة الاربعون لعهد تأسيسها

قد اطلعنا بغاية المسرَّة على البرنامج السنويّ فوجدنا فيه شاهدًا ناطقًا عن فضل اهل بيروت وارتياحهم الى الاعمال الخيريَّة. فانَّ واردات الجمعيَّة بلغت في هذه السنة ما لم تبلغهُ من ذي قبل فانَّ رصيدها بعد كلّ المصارفات التي دفعتها في سبيل الخير بلغ في غاية تشرين الثاني من السنة المنصرمة ٣٣٣١١ غرشًا وهذا اعني نحو عشرة الاف غرش بالزيادة عن السنة الماضية. فنهنئ الجمعيَّة على هذا النجاح ونتمنى لها الترقي الدائم لمجد الله وخير القريب

هدايا أرسلت الى إدارة المشرق

١ً الاربعة الاعداد الاولى من الاسد المرقسي. وهي مجلة كاثوليكيَّة علمية تصدر مرَّتين في الشهر وتطبع في المطبعة المرقسيَّة بالقاهرة وصفحاتها ثمانية نتمنى لها كلَّ نجاح

٢ً العدد الاوَّل من الرئيس وهي مجلة طبيَّة جراحية علمية ادبية تاريخية تصدر موقتًا مرَّة في الشهر لصاحب امتيازها ومحرر مقالاتها الطبية لويس افندي الخازن ولمحرِّر مقالاتها العلمية ابراهيم افندي الحوراني. تُطبع في مطبعة الارز وصفحاتها ٣٢

وقد أُهديت الينا رسالة ابن سينا في القدر وبوبية الاحوال وتاريخ جيل القدم سنتكلم عنها في العدد القادم

شذرات

اعتذار — وردنا من القراء جوابان للمدافعة عن مقالتنا في البريز والترنسفال الَّا اننا لم نرَ حاجة الى اثباتهما بعد ان أقفلنا باب المجادلة مع صاحب الضياء. وفي ما سبق كفاية. فنشكر لفضل الكاتبين ونستميح منهما عذرًا

دروينيَّة المقتطف — أعجب صاحب المقتطف بالآراء الدروينيَّة فتراه لا يترك من مجلتهِ عددًا دون ان يدسَّ في بعض مقالاتهِ شيئًا من هذا السمّ الذعاف وذلك حتى في المقالات التي لا تستدعي الخوض في هذا البحث. ففي عددهِ الاخير مثلًا افتتح مقالتهُ في « اعظم الآلات الفلكيَّة » (ينايرص ١) بقولهِ: « انَّ جماعة من العلماء (يريد الدروينيين مثلهُ) يذهبون الى انَّ عين الانسان... وجدت في

بدء امرها بسيطة الشكل قليلة التركيب لا تقضي الّا يسيرًا مما تفعلهُ الآن ثم ما زالت ترتقي حتى بلغت من الكمال الدرجة التي نراها فيها. . . .». واين هذا القول من زعم صاحب الهلال (المشرق ٢: ١١٠٣) انَّ الانسان كان ينظر سابقًا بثلاثة عيون ثم فقد احداها وعمّا قريب سيصبح ذا عين واحدة. والمقتطف يدّعي بخلاف ذلك انَّ العين «سوف ترتقي فتبلغ مبلغًا لا يخطر الآن ببال فترى ما لا تراهُ الّا بالمقرّبات والمكبّرات». فنسأل الهلال والمقتطف ان يتّفقا في امر نسبهُ كلاهما الى العلماء. فايَّ العلماء نصدّق أعلماء المقتطف او علماء الهلال؟. ثمَّ وصف المقتطف في مقالته عن «ادراك الحيوان الاعجم» (ص ١٧) كلبًا كاد يمثّلهُ لنا اعقل من الناطق. ومن قرأ هذا الوصف لا يشكّ في ان صاحب المقتطف يفضّل هذا الحيوان على كثيرين من البشر بل ربَّما نسب اليهِ الفكر والنطق كأن الكلب اوحى اليهِ بخفايا اسرارهِ كقولهِ مثلًا عن فتاة من الهنود كانت تخدم في البيت حيث كان الكلب الموصوف انَّها غسلت المطبخ (ص ١٩) «فرأى الكلب ذلك فقال هي فرصةٌ للاخذ بالثار منها» وكقولهِ عن ابن صاحب الكلب انهُ «دخل اليهِ وامسك باذنهِ وخاطبهُ كما يخاطب رجلًا عاقلًا وامرهُ ان يخرج من المطبخ ولا يدخلهُ بعد ذلك فاطاعهُ. .» واشياء كثيرة من هذا النمط يخدع بها المقتطف قرّاءهُ. ولعلّهُ يظنّ انَّ اعتبار المصريين لعلمهِ يمكّنهم من قبول كلّ هذه السفاسف التي لو عُرضت على الثكلى لاضحكتها وعلى الصبيان لاستقبلوها بالهزء والسخريّة

عيد الغطاس ورد فصل في تاريخ هذا العيد لجناب غطاس بطرس قندلفت اثبتهُ في النار (ص ٢٦٣) وممَّا قالهُ في اثناء كلامهِ انَّ هذا العيد «لم يكن معروفًا في الغرب في بادئ الامر بل انتقل اليها من الشرق وربَّما كان انتقالهُ بواسطة المواصلات التي كانت بين مدن اسيا الصغرى وبلاد فرنسا قديمًا ونلاحظ آثارهُ في الغرب لاوّل مرّة...في احدى مدن فرنسة سنة ٣٦٠». (قلنا) انَّ في هذا الكلام لشططًا والصواب انَّ كنائس الغرب كانت منذ بدء النصرانيَّة تعيّد هذا العيد مثل كنائس الشرق بيد ان الشرقيين كانوا يحتفلون بهِ في اليوم السادس من كانون الثاني ويجمعون بين عيدَي ميلاد الرب وغطاسهِ. امَّا الكنائس الغربيَّة فانَّها كانت تعيّد عيد الميلاد في ٢٥ كانون الاول وتبقي عيد الغطاس لليوم السادس من ك ٢. ثمَّ اخذت كنائس الشرق تتبّع الكنيسة الرومانيَّة وتعيد عيدًا خاصًا لعيد الميلاد. وقد ذكر

الامر القديس يوحنا فم الذهب في عظاته مرَّتين قال سنة ٣٨٥ (مين ج ٤٩ ص٣٥١) لم يمرّ علينا عشر سنوات منذ شاع بيننا عيد ميلاد الربّ ٠٠٠ اما الرومانيون فكانوا يعرفونهُ منذ زمن مديد استنادًا الى تقليد قديم ومنهم اتتنا معرفتهُ » . اما كون عيد الغطاس كان شائعًا في المغرب في اوائل النصرانيَّة فدليلنا عليهِ كلام اميان مرقلّان الذي استشهد بهِ المنار إجمالًا دون ايراد النصّ بحرفهِ ولو كان واجبًا في الاصل لفهم انَّ هذه الشهادة تقرّر بنوع واضح قدم هذا العيد في كنائس الغرب قال مرقلّان في تاريخ سنة ٣٦١ (لا سنة ٣٦٠) عن الملك يليانوس الجاحد انهُ دخل في كنيسة فيِنَّة من اعمال فرنسة « فصلَّى مع المسيحيين في شهر كانون الثاني في يوم العيد الشائع عندهم بظهور الربّ » (feriarum die quem celebrantes mense Januario Chri-stiani Epiphania dictitant) فيظهر من هذا الكلام : اوَّلًا انَّ عيد الغطاس كان شائعًا بين نصارى تلك البلاد عمومًا . ثانيًا انهُ من الاعياد الحافلة التي يجتمع فيها النصارى بأبهة عظيمة حتى ان يليانوس مع كفرهِ اضطرَّ الى حضور العيد لئلا يرميهُ القوم بالزندقة . ثالثًا انَّ هذا العيد كان يدعى مذ ذاك كما تدعوهُ اليوم الكنائس الغربيَّة لا كما يدعى في كنائس اليونان . رابعًا انَّ هذا العيد كان واقعًا في كانون الثاني فمن هذا يتَّضح ليس فقط انَّ اثر هذا العيد ظهر سنة ٣٦١ بل بخلاف ذلك انَّ كنائس الغرب كانت تقيم حفلتهُ منذ زمن قديم . وزد على ذلك انَّ الكنائس الغربيَّة تذكر في هذا النهار ليس غطاس الرب فقط كما يفعل الشرقيون بل ظهورهُ المثلَّث اولًا للامم بسجود المجوس وثانيًا لليهود بغطاسهِ وثالثًا لتلاميذهِ بتحويل الماء خمرًا في عرس قانا الجليل

☼ حلّ المسئلة الحسابية ☼ ورد علينا جواب المسئلة الحسابية المدرجة في عددنا السابق(ص٩٣) بقلم حضرة الرياضي البارع الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورة العامرة. قال :

يجب ان نجد اوَّلًا ثمن العقد فنستنتجهُ من الشروط الاخيرة في المسألة اذ نلاحظ ان الثلاثة الارباع التي حُذفت في الشرط الثاني من القسم الاولى التزمنا ان نعوض عنها بثلثي القسم الثاني ليبقى المجموع مساويًا على الحالين ٧٥٩٠

فاذا كان $\frac{٣}{٤}$ القسم الاول يساوي $\frac{٢}{٣}$ القسم الثاني يكون ربع الاول مساويًا $\frac{٢}{٣\times٣}$ القسم الثاني و $\frac{٤}{٤}$ الاول اي القسم الاول كلهُ مساويًا $\frac{٢\times٤}{٣\times٣}$ القسم الثاني اي $\frac{٨}{٩}$ وعليهِ فان العدد ٧٥٩٠ يحتوي على ($\frac{٨}{٩}+\frac{١}{٣}$) القسم الثاني اي $\frac{١١}{٩}$

فالتسع يكون $\frac{٧٥٩٠}{١١}$ و ٦/٩ تساوي $\frac{٩ \times ٧٥٩٠}{١١}$ = ٦٢١٠ والقسم الاول يساوي $\frac{٨ \times ٦٢١٠}{٩}$ = ٥٥٢٠ فيكون ثمن العقد اذاً ٦٢١٠+٥٥٢٠ + ٩٠ = ١١٨٢٠ غرشاً

امَّا ماكان مع كل من الخمسة فنتوصَّل الى معرفتهِ بمثل التعليل الذي توصَّلنا بهِ الى معرفة ثمن العقد اذ نلاحظ ان ما حذفناهُ في الشرط الثاني من مال الاول في الشرط الاول التزمنا ان نعوّض عنهُ بالزيادة في القسم الثاني حفظاً للمعادلة والحال اننا حذفنا من الاول ٦/١ مال الاول وعوضنا عنهُ بِـ ٧/٢ مال الثاني اذاً مال الاول يساوي $\frac{٢ \times ٦}{٧}$ مال الثاني اي ٧/١٢ . واذا قابلنا على هذه الطريقة نفسها كلًّا من الشرط الثالث والرابع والخامس بالاول نستنتج تباعاً ان مال الاول يساوي ٧/١٢ مال الثاني او ٤/٩ مال الثالث او ٨/٣ مال الرابع او ٣ مرّات مال الخامس واذا عوَّضنا عنهُ اقسام الاربعة في الشرط الاول بما يساويها من اقسام مال الاول استنتاجاً مما رأينا من العلاقة بين الاموال يتحوَّل الشرط الاول الى هـذه الصورة الآتية: ($\frac{١}{٦}+\frac{١}{١٢}+\frac{١}{١٨}+\frac{٣}{٧٢}+\frac{١}{٣٠}$) القسم الاول يساوي ١١٨٢٠ وبجمع الكسور يصير $\frac{١١٨٣}{٢١٦٠}$ من مال الاول يساوي ١١٨٢٠ فيكون مالهُ $\frac{١١٨٢٠ \times ٢١٦٠}{١١٨٣}$ = ٢١٦٠٠ ومماَّ تقدَّم من العلاقات يكون مال الثاني $\frac{٢١٦٠٠ \times ٧}{١٢}$ = ١٢٦٠٠ ومال الثالث $\frac{٢١٦٠٠ \times ٤}{٩}$ = ٩٦٠٠ ومال الرابع $\frac{٢١٦٠٠ \times ٣}{٨}$ = ٨١٠٠ ومال الخامس $\frac{٢١٦٠٠}{٣}$ = ٧٢٠٠ والامتحان هين

(المشرق) ونغتنم هذه الفرصة لابداء فروض الشكر لحضرة الكاتب الذي ارسل الينا بعض ملاحظات مفيدة عن المسألة الميكانيكيَّة الواردة في المشرق (٢ : ١١٢٢) فحال ضيق المكان عن ذكرها

اسئلة واجوبة

س سألنا من حمَّانا جناب الاديب ص. حاتم هل القناعة لا تقوم الَّا بلزوم الرجل للحالة التي وُلد فيها وعدم معاطاته للاشغال وتنفي اهتمام المرء بتحسين اموره ؟

تعريف القناعة .

ج الجواب على السؤال السابق يؤخذ من تعريف القناعة كما حدَّها الفلاسفة قالوا انَّ القناعة هي الاقتصار على ما سنَح من العيش والرضى بما قرب منالهُ من المعاش مع ترك الحرص المفرط على اكتساب الاموال وطلب المراتب العليا والاكتفاء باليسير على انَّ ذلك لا يمنع ان المرء يهتمّ بامورهِ اهتماماً معتدلاً ويطلب تحسين حالهِ بالوسائل

العاديّة القريبة المنال وعليهِ يمكن ان يكون المتري قنوعًا

س وسألنا احد افاضل كهنة الروم الكاثوليك عن قول متّى في المسيح (٢: ٢٣): « وسكن في الناصرة ليتمّ المقول بالانبياء انهُ يدعى ناصريًّا» اين ورد هذا القول في الانبياء ؟

شرح آية متى في سكون المسيح الناصرة واستشهاد الانجيلي بالانبياء

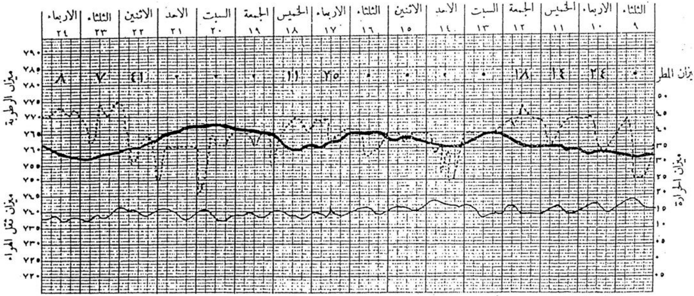
ج الجواب ان هذه الآية لم ترد بلفظها في نبوة احد الانبياء بل فيها اشارة واضحة الى ما كتبهُ اشعياء عن المسيح في الفصل الحادي عشر حيث يقول: «ويخرج قضيب من جذر يسّى وينمي فرعٌ من اصولهِ » فانّ لفظة الفرع هناك بالعبرانيّة « نصر » (נֵצֶר). فاراد القديس متّى انّ المسيح بسكناهُ في الناصرة حقّق نبوة اشعيا حيث يقول انهُ هو « النّصر » اي الفرع السامي من صلب يسّى ابي داود. وللآباء شرحٌ آخر حسنٌ فانّهم يقولون ان الناصري هو المقدّس والمخصّص بالله وكثيرًا ما اشار الانبياء الى قداسة المسيح في نبواتهم عنهُ (راجع مثلًا اشعياء ١٢: ٦) ل. ش

س (تتمّة اسئلة خليل افندي بيدس) ٦ً وكتب جنابهُ: « انّ مرج ابن عامر او سهل يزرعيل قد وُسم منذ القدم باسماء عديدة منها ازدرايلا وستراديلا وسهل لجيون (Robinson: *Phys. Geog.* 130) » فما هي كتابة هذه الاسماء وما معناها ؟ ٧ً هل لبحر القلزم خليج يدعى اكاب ؟. ٨ً ما الصواب في اطلاق العبرانيين اسم « اراف » واطلاق اليونان والرومان اسم « اثلون » على وادي الاردن. ٩ً ما صواب كتابة « عين الدوك » للعين النابعة في واحة اريحا وما معناها ؟ وكتابة وادي « الكالت او الكلت او القلت » للوادي القريب من اريحا ؟

حلّ مشاكل جغرافية

ج نجيب على السؤال (السادس): ان « يزرعيل » هو الاسم الصحيح ويدعى ايضًا « سهل لجون ». ولجون قرية هناك معروفة الى يومنا دعيت بذلك لنزول فرقة رومانيّة (Légion) فيها سابقًا. امّا « ازدرايلا وستراديلا » فمن التصحيفات الفظيعة. وعلى (السابع) انّ الخليج المذكور هو عقبة الشهير. وعلى (الثامن) اننا لا نعرف اسم « اراف » او « اثلون ». وعلى (التاسع) ان كتابة « عين الدوك » صوابية. امّا معناها فلعلّهُ مشتقٌ من اسم الاله داجون Δαγων وهو اسم هذه العين باليونانية. وعلى (العاشر) انّ الصواب « وادي القلت » هـ. ل

قائمة للآثار الجويّة   من ٩ الى ٢٤   كانون الثاني   ١٩٠٠



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات